الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة تلمسان

كلية الآداب واللغات الأجنبية

قسم: اللغة والأدب العربي

تخصص: حضارة عربية إسلامية

2013
FacLIT02086

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر

الموسومة بـ:

مظاهر الحضارة العثمانية في البناء المعماري بمدينة مازونة

من إعداد الطالبتين:

* بوشريط فتيحة
* حمودي هجيرة

تحت إشراف:

*أ.د. شافع بلعيد نصيرة

السنة الجامعية :1432ه-1433ه/ 2011-2012م

TAS_F20_01/01

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة تلمسان

كلية الآداب واللغات الأجنبية

قسم: اللغة والأدب العربي

تخصص: حضارة عربية إسلامية

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر

الموسومة بـ:

مظاهر الحضارة العثمانية في البناء المعماري بمدينة مازونة

من إعداد الطالبتين:

* بوشريط فتيحة
* حمودي هجيرة

تحت إشراف:

*أ.د. شافع بلعيد نصيرة

السنة الجامعية :1432ه-1433ه/ 2011-2012م

بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

ربي يسر و لا تعسر و ربي زدني علما

اللهم احفظ ألسننا من فضول الباطل ،و اغسل قلوبنا و عقولنا من غباوة الجهالة ،و خطر الضلالة ،و من ترك مخافتك و من العَجب المتلف ،من التكلف في العمل ،و اجعلنا من الراشدين

اللهم آمين

و صل اللهم على سيدنا محمد و آله الطيبين الطاهرين مصابيح الهدى و قدوة الأمة إلى يوم الدين.

شكر وعرفان

خير فاتحة نفتتح بها هي الحمد لله الذي لا يطيب الليل إلا بشكره و لايطيب النهار إلا بطاعته و لا تطيب الآخرة إلا بعفوه و لا تطيب الجنة إلا برؤيته فله الحمد حمد الشاكرين و الصلاة و السلام علي نبي الله محمد صلي الله عليه و سلم.

في مثل هذه اللحظات تتبعثر الأحرف و عبثا أن نحاول تجمي
فلا يبق لنا في نهاية المطاف إلا أن نشكر من ساندنا و ساعد جانبنا
و نخص بالشكر و العرفان إلي كل من أشعل شمعة في درب من
وقف إلي جانبنا و أعطي من حصيلة فكره لينير

كما نتوجه بجزيل الشكر إلي الدكتورة شافع بلعيد نصيرة الم ف علي
هذه المذكرة فجزاها الله عنا كل خير فلها منا كل التقدير و

إهـــــــــــداء

إلى من لانبي بعده إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام

إلى من ربتني وأنارت دربي وأعانتني بالصلوات والدعوات، إلى أغلى إنسان في هذا الوجود أمي الحبيبة

إلى من عمل بكد في سبيلي وعلمني معنى الكفاح وأوصلني إلى ما أنا عليه أبي الكريم أدامه الله لي

إلي جدتي العزيزة التي أتمنى لها دوام الصحة و العافية

إلي من دعموني و ساندوني طيلة هذا المشوار الدراسي إخوتي:نور الدين،معمر،اعمر

سعيد و إسماعيل

إلى من لايمكن للكلمات ان توفي حقهن إناتي :محجوبة ،مليكة،نادية و فاطيمة .

إلي نجوم البيت المتلألئة أبناء إخوتي:سمية،رفيدة،[illegible]راء ومحمد ياسر،ليلي .

إلي من تطلعت لنجاحي بنظرةالأمل أختي العزيزة: عمارية و زوجها[illegible]داوي و ابناءها:محمد،بلقاسم

و الغالية فتيحة

إلى من عملت معي بكد بغية إتمام هذا العمل، إلى صديقتي ورفيقة دربي:[illegible] بوشرو

إلي من ساندني بتوجيهاته القيمة و نصائحه السد يدة إلي [illegible]فيق القدوة:جيلالي

إلى من قاسمني درب النجاح صديقاتي:سميرة ،خديجة،دليلة،زهية،زوليخة ،فط[illegible]اطمة،[illegible]خوجة

إلى كل زملائي وزميلاتي بالعمل .

إلى كل من ساهم معنا في انجاز هذا العمل من قريب أو من بعيد

إلى كل من نساهم القلم ولم ينساهم القلب.

هـــجيرة .

إهـــداء

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة ، إلى نبي الرحمة ونور العالمين

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار إلى من علمني العطاء بدون انتظار

أرجو من الله أن يمد في عمره

والدي العزيز

إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني إلى بسمة الحياة وسر الوجود

إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الأحباب

الحبيبة

إلى شمعة متقدة تنير ظلمة حياتنا إلى بركة بيتنا ونوره

جدتي

إلى من شجعوني وتطلعولنجاحي بنظرات الأمل ووقفوا بجانبي أخواتي :[illegible]اطمة ، نعيمة ، زهيرة ، نعيمة .

إلى من أرى التفاؤل بعينهم والسعادة في ضحكتهم

إخوتي : رشيد و لزرق وعبدالقادر

إلى شعلة الذكاء والنور

إلى الوجوه المفعمة بالبراءة والمحبة أبناء إخوتي وأخواتي:محمد،أسماء،رميساء،عبد[illegible]، عادل، شيماء، نور، احمد، نضيرة ، سيد أحمد

إلى الأخوات اللواتي لم تلدهن أمي إلى من تميزوا بالوفاء والعطاء إلى ينابيع الصدق الصافي إلى[illegible] : فتيحة غرتيل ،هجيرة حمودي ، فاطمة خوجة .

إلى من عرفت كيف أجدهم وعلموني أن لا أضيعهم صديقاتي : سميرة عباس ، دليلة بومدين ، خديجة[illegible]ي ، فضيلة وفاطمة بن علي، زهية وصورية ، هند ، صارة ، لطيفة ، فرح ، كلثوم .

فتيحة

مقدمة

مازونة مهد العلم و الثقافة ،الصفة التي أطلقت علي هذه المدينة التاريخية ،التي ساهمت بالأمس القريب في أحداث نهضة حضارية و علمية في منطقة المغرب العربي عامة ،و في الجزائر خاصة ،حيث شكلت خلال الفترة الوسطي و الحديثة محور العلم و التلاقح الثقافي ،فكانت قبلة العلماء من مشارق الأرض و مغاربها إلي جانب كونها مركز سلطة لقبائل مغراوة و عاصمة بايلك الغرب في العصر الوسيط.

فهي بهذا تمثل إحدى العواصم التاريخية و الحضارية لامتلاكها معالم أثرية بارزة خاصة في العهد العثماني و كان لهذه المعالم الأثر الأعظم في دفع حركة التقدم الحضاري للمنطقة و هذا لأنها كانت شرفة هادئة علي الدنيا بجمالها و تاريخها انطلاقا من هنا نطرح الإشكالية التالية:

ما هي أهم المعالم الحضارية التي عرفتها المنطقة؟

و كيف ساهمت هذه الأخيرة في دفع حركة التقدم الحضاري؟

و هذه الإشكالية كانت بدافع التعرف علي المنطقة و التعريف بها ،كما تعتبر من الأسباب التي جعلتنا نختارها كموضوع لدراستنا و باعتبارنا أبناء المنطقة أبينا إلا أن نعطي الصورة الحقيقية و لو بشكل بسيط لهذه المنطقة التاريخية ،البارزة و المهمة التي تعد محل افتخار و اعتزاز بالنسبة لنا ،و من الأسباب أيضا:

ـــ مدى إسهام المنطقة الفعال في الحركة العلمية .

وتأصيل تاريخ المنطقة التي كانت جذورها موجودة في الموروث الفكري القديم و تطورت في إطار الحضارة العربية الإسلامية.

و لدراسة هذا الموضوع افتتحنا البحث بمدخل تطرقنا فيه إلي التواجد العثماني بالجزائر بصورة مختصرة متناولين ذلك التأثير و الدور الذي ساهمت به هذه الأخيرة في إرساء معالم الدولة الجزائرية حيث طرقت كل المجالات الاقتصادية منها، و الاجتماعية، الثقافية و غيرها.

فالعصر التركي عرف ازدهارا كبيرا في الجانب العلمي و الثقافي ،و من المناطق الجزائرية التي حظيت بهذا العلم و الانتعاش مدينة مازونة التي تلألأت خلال الوجود العثماني .

هذه الأخيرة اختيرت عاصمة لبا يلك الغرب و مستقر البايات ،الأمر الذي كان بمثابة تتويج لتاريخها العريق و إثباتا لحضارتها العميقة .

و من البصمات و المظاهر التي خلفتها الدولة العثمانية بالجزائر:العمران الذي كان شاهد عيان علي رقي هذه الحضارة و تطورها.و منطقة مازونة كانت خير دليل علي ذلك و هذا كان كلمحة وجيزة عن المدخل ثم قمنا بتقسيم العمل إلي ثلاثة فصول :

الفصل الأول:قمنا فيه بدراسة عامة حول المنطقة متطرقين إلي:

الإطار الطبيعي و التاريخي لها كمبحث أول، أما المبحث الثاني فدرسنا فيه المراحل التاريخية التي مرت بها المنطقة.

الفصل الثاني تعرضنا فيه إلي أهم جوانب الحياة في مدينة مازونة حيث احتوي الفصل علي مبحثين:

الأول تضمن الجانب السياسي،الاجتماعي والاقتصادي و الثاني كان بعنوان :

الجانب الفكري و الثقافي .

ثم الفصل الثالث المتمثل في مظاهر الحضارة العثمانية في البناء المعماري بمدينة مازونة و الذي أدرجنا تحته مبحثين أيضا،الأول تعضنا فيه إلي نشأة المدرسة الفقهية و تطورها ،أما الثاني فتضمن الدراسة الوصفية لكل من المدرسة و مسجدها ،حيث اتبعنا في هذه الدراسة علي كل من المنهج التاريخي و المنهج الوصفي التحليلي.

و من العراقيل التي صادفتنا في إنجاز هذه المذكرة ،ضيق الوقت الذي وقف حاجزا أمامنا و في عدم إثراء هذا العمل و التوسع أكثر للإحاطة بالموضوع من كل جوانبه ، لأن عملا كهذا يتطلب جهدا و عملا جادا لإتمامه علي أحسن وجه و حتى يصبح عملنا هذا مرجعا أساسيا يستعان به و حتى تكون لنا بصمة في هذا الصدد.

أما عن المصادر و المراجع الأساس التي اعتدناها في هذا الإنجاز المتواضع فهي:مولاي بلحميسي في كتابه:دور مازونة في الحركة العلمية و الثقافية ،أبو القاسم سعد الله في كتابه : تاريخ الجزائر الثقافي ،ناصر الدين سعيدوني و المهدي البوعبدلي في :الجزائر في التاريخ في العهد العثماني و جنان الطاهر في كتابه:مازونة عاصمة الظهرة بالإضافة إلي يحي بوعزيز في كتابه:الموجز في تاريخ الجزائر ...الخ.

هؤلاء المؤلفون كانوا من المهتمين بالتاريخ حيث أعطوا المنطقة حقها و نصيبها من تاريخ الجزائر الشاسع.

لنختم بحثنا هذا بأهم النتائج التي توصلنا إليها راجين من المولي عز وجل أن ينفع به من يقرأه كما نسأله النجاح والتوفيق.

تلمسان يوم:24ـ06ـ2012

حمودي هجيرة

بوشريط فتيحة

مدخل

شهدت الجزائر العديد من الاضطرابات السياسية و الأزمات الناتجة عن التحرشات الصليبية،وتعدد الغارات خاصة بعد سقوط غرناطة سنة 1492 م وتحرش الأسبان في احتلال بلدان المغرب بذريعة أنها تشكل خطرا دائما على استقرار الممالك الأوروبية،فباشرت هذه الأخيرة باحتلال ريف المغرب ثم عرجت على السواحل الغربية للجزائر ووسطها. [1]

وعندما تمادى الملوك الأسبان في ترويج الروح الصليبية في المغرب العربي ظهر رياس البحر أشهرهم: خير الدين بربروس الذي نشط بغربي البحر الأبيض المتوسط والسواحل الاسبانية والايطالية ،حيث أخذ مع أخيه عروج تقديم العون والمساعدة للمسلمين وذلك من قبل السلطان سليمان في المنطقة ، وبالفعل دخلت الجزائر تحت النفوذ العثماني سنة1515 حيث اتخذوها ركيزة للعمليات العسكرية غربي المتوسط والصراع مع الغرب خاصة الأسبان [2].

لم يكن دخول العثمانيون إلى الجزائر بغية الاحتلال والهيمنة وإنما كان تلبية لاستنجاد الحكام الجزائريين بهم وقد لقي الأتراك في بداية دخولهم الكثير من الترحاب والسرور باعتبارهم حماة الدين من ناحية وساعين لجمع الأمة الإسلامية من ناحية أخرى ،وفي هذا الشأن يظهر لنا مدى تمسك الجزائريون بمقوماتهم والدليل على ذلك استنجادهم بالدولة العثمانية التي كانت تمثل القوة الإسلامية آنذاك.

[1] ـــ هاجر مزوان – المؤسسة الدينية والثقافية في بأيلك الغرب 1671-1830 م ص2

[2] ـــ مفيد الزيدي – موسوعة التاريخ الإسلامي ، العصر العثماني ج1 دار أسامة للنشر/الأردن ط2 ص27 .

ولما دخل الإخوة بربروس البلاد سنة 1516م كان أول ما قاموا به أن اتخذوا من الجزائر عاصمة العمالة العثمانية الجديدة، ثم بدؤوا في إعداد العدة لترصد العدو المسيحي فشنوا العديد من الحملات بقيادة عروج في كل من جيجـــل، بجاية وتنس ثم تلمسان بعد أن تلقوا نداء النجدة من المماليك التي كانت تحت رحمة أمرائها الذين عاثوا في المنطقة فسادا وسيروا ثروتها إلى فقر شامل[1]

لهذا تعتبر الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر فترة مهمة وحاسمة، هذا ما جعلنا نتطرق إلى خصائص الحكم الذي عرفته الجزائر في ظل الدولة العثمانية حيث حكمت الجزائر:

البايلربايات (1518 -1588) : من حكم خير الدين بربروس صعودا حيث شكلت نسقا تاريخيا وأصبحت البلاد تحت حكم إداري أقره السلطان سليمان القانوني وبرزت التركيبة العسكرية فيه ونشطت في حوض البحر المتوسط في مواجهة التحدي الأوروبي وتصفية الأطماع الاسبانية.

ثم عاشت الجزائر في عهد الباشاوات (1588م -1659 م) وارتبطت بالمركزية العثمانية بشكل مباشر ، وتفاقم نفوذ القوى الانكشارية هيمنتهم على السلطات المحلية بالعاصمة والأقاليم الأخرى،ومكث أغلب الباشاوات لثلاث سنوات في الحكم بعد أن كان حكما مفتوحا في السابق

.

[1] ـــ مولاي بلحميسي – مازونة مقصد الدارسين وقلعة الخليلين- منشورات الاتحاد الوطني للزوايا الجزائرية2005 ص 3 .

وبعدها تحول الحكم من الباشاوات إلى الانكشاريين أنفسهم وخاصة الأغوات بين 1659م إلى 1671 م الذين انتزعوا السلطة العليا من الباشاوات لكي تتسلمهم الدايات فيما بعد وقد انعكس

ذلك على جمود الإدارة العثمانية و عدم قدرتها على تعزيز نفوذها عند هؤلاء الحكام .

إن طابع النظام الحاكم في الجزائر منذ القرن السادس عشر حكما عسكريا اعتمد على السلطة المركزية، ثم ظهر انفصال واضح بين هذه السلطة وحكام بعض الأقاليم والولايات الجزائرية وبرزت فئات اجتماعية أبرزها التركية "[1]

وهذه صورة سطحية عن النظام الحاكم بالجزائر من قبل العثمانيين .

وكما سبق الذكر بأن الفترة العثمانية كانت مهمة في التاريخ الجزائري، بغض النظر عن المدة الزمنية التي استغرقتها بالجزائر والتي تزيد عن ثلاثة قرون (1516م ــ 1830م) إلا أنها كانت فترة هامة اكتمل فيها كيان الشعب الجزائري، و عرفت البلاد مقومات الدولة الخاصة بعد أن ظلت هوية الجزائر الإقليمية غير واضحة المعالم أثناء انقسام دولة الموحدين وظهور الحفصيين والزيانيين والمرنيين ، وقد برز هذا الكيان بالخصوص في اختيار عاصمة قارة ورسم حدود معينة،

[1] ــ مفيد الزيدي : موسوعة التاريخ الإسلامي ، العصر العثماني ، ص22 .

ووضع أجهزة إدارية ،وسن أنظمة اقتصادية و إقرار أوضاع اجتماعية وانتهاج علاقات سياسية خارجية تتلاءم وأوضاع البلاد الجزائرية آنذاك" [1].

"ولو لم تكن تلك الظروف الاستثنائية المتمثلة في انتصاب حكومة الترك إبان أوروبا المتعصبة لصادف أنصار الأشقرين من أسباب المقاومة ما كانت تصادفه كل أمة أخرى تريد الاستيلاء على القطر الجزائري ،لأن أسباب التنافر من حيث الجنس والأحلاف والثقافة الوضعية مابين العناصر الجزائرية والعنصر التركي كانت أكثر توفرا من أسباب الاتفاق والتجاذب " [2].

وفي هذا الشأن يظهر لنا ذلك الاتفاق والارتباط الوحيد بين الجزائريين والعثمانيين.

ويأتي هذا بالتأكيد على الروابط الوثيقة مع البلاد العربية والبقاء ضمن الوحدة الحضارية والفكرية للإمبراطورية العثمانية الواسعة.

كما نجد أن الفترة العثمانية بالجزائر نشطت الحركة الثقافية والفكرية نشاطا واسعا وذلك من خلال كثرة المراكز الثقافية ،واحتوائها على أساتذة متمكنين من علوم الفلسفة والفقه والأدب والنحو والفلك ،فكانت المدارس كثيرة العدد ومنتشرة في كل ربوع البلاد، أما التعليم فيها كان شرعي ديني ومدني"[3] .

---

[1] ـــ ناصر الدين سعيد وني – دراسات وأبحاث تاريخ الجزائر العهد العثماني- المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1948 ص9 -29 بتصرف

[2] ـــ عثمان الكعاك – موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي- تقديم ومراجعة أ، د ناصر الدين سعيد وني دار الغرب الإسلامي 2003 ط1 ص304.

[3] ـــ عبد الرحمان ابن محمد الجيلالي – تاريخ الجزائر العام ج3 –ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر 1962 ص 534.

هذا ما يوضح لنا الأهمية الكبيرة التي أولتها الدولة العثمانية للجزائر من الناحية العلمية ،حيث برزت مساجد وزوايا كثيرة تحث على العلم والمعرفة، كما ظهر علماء نوابغ في هذه الفترة التي جعلت الجزائر تعيش حياة ثقافية رائعة مليئة بالعلم والعلماء وهذا ما دعا وفود الرحالة إليها من كل أقطار العالم.

في الحقيقة أن الأتراك قاموا بأعمال جددوا بها الإسلام ،و أرجعوا إليه عصر شبابه ،هذا ماجعل أهل الجزائر يستقبلونهم على الرحب والسعادة وكان حكمهم للبلاد مدعاة ابتهاج كبير [1].

كما لا ننسى البصمات التي تركها العثمانيون في الجانب المعماري فقد كانت المباني والمنشات بغاية الجمال والتصميم فيها متقن وفني[2].

هذا ما وضحه عبد الرحمان ابن محمد الجيلالي من خلال قوله:« كانت الأ حياء السفلية بالنسبة إلى الناحية المرتفعة من العاصمة المعروفة باسم الجبل بفخامة البنيان وزخرفته وفيه من الدور والقصور الجميلة الكثير الباقية إلى اليوم» [3] .

---

[1] ــ عثمان الكعاك – موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي ،ص305.

[2] ــ عبد الرحمان الجيلالي : تاريخ الجزائرالعام ، ص 535 .

[3] ــ المصدر نفسه ص523.

ومن هذا القول نستنتج أن المباني في هذه الفترة كانت في منتهى الجمال ،الإبداع والإتقان والدليل على ذلك صمودها زمنا طويلا ونظرا للمدة التي استغرقتها الدولة العثمانية بالجزائر نجد أنها خلفت الكثير من العمران وذلك بمختلف مناطق

البلاد وأغلب ما خلفته تجلى في المساجد والمدارس وهذا إن دل على شيء إنما يدل على الاهتمام البالغ بين العلم والعلماء.

من بين المناطق الغنية بالعمران التركي منطقة مازونة ،أثناء التزول العثماني بالجزائر جلبت هذه الأخيرة أنظارهم بسبب موقفها الجغرافي الهام وطاقتها الاقتصادية و سمعتها الفكرية والأدبية فبموجب التنظيم الإداري الذي عرفته الجزائر سنة 1562 م والقاضي بتقسيم البلاد إلى ثلاث مقاطعات عرفت بالبايلك ومنها بأيلك الغرب وعاصمته مازونة ولهذا تطرقنا إلى ذكر التنظيمات الإدارية التي عرفتها الجزائر.[1]

نواة الإدارة التركية بالجزائر :

كان لجهود صالح رايس أثار حسنة على مستقبل الجزائر بحيث امتد نفوذ السلطة التركية إلى معظم المناطق بالبلاد الحالية في الجهات الثلاثة الشرقية، الغربية و الجنوبية ومن أجل ذلك اهتم البايلر بأي حسن باشا ابن خير الدين خلال ولايته الثانية بتنظيم إدارتها فقسمها إلى أربعة بايلكات (عمالات).

[1] ــ المصدر السابق، ص 523.

1-بايلك الجزائر العاصمة : مركزه مدينة الجزائر نفسها (دار السلطان)

2-بايلك التيطري: مركزه مدينة المدية

3-بايلك الغرب : مركزه مدينة مازونة ثم معسكر ثم وهران [1].

وبهذا بدأت شخصية الجزائر تتخطى حدودها إلى الخارج وأصبح لقادتها وأسطولها دور في أحداث منطقة البحر المتوسط .

طيلة العهد العثماني تأثرت مازونة بالأحداث والتقلبات التي عاشتها بلاد الجزائر وفي هذا الصدد يشير مولاي بلحميسي :"إلى أنه في بعض مراحل الحكم العثماني كانت مازونة تنقسم إلى جهتين متصارعتين فمن جهة نجد القصبة، بوعلوفة و تيسارت تجتمع كلها في حلف قبيلة مديونة التي كانت تقدم لهم المؤونة من القمح، الشعير والخشب ومن جهة أخرى نجد بوماتع ، أولاد السايح والحساسنة وهم حلفاء الصبيح و لم تكن العلاقة بين الطرفين دوما على أحسن حال فكثيرا ما توترت إلى درجة فضيعة و أمام أعين السلطة التركية وقد جاء في بعض النصوص أنه نتيجة التوترات الناجمة عن الطرفين تم بناء جدار يقسم المدينة إلى قسمين و أصبح في كل جزء من المدينة سوق خاص بها[2].

[1] ـــ د يحي بوعزيز : الموجز في تاريخ الجزائر ج2 ديوان المطبوعات الجامعية ، 2007 ص 20 .

[2] -M.Belhmissi. Mazouna une petit ville longue histoire société nationale d'edition et diffusion, Alger 1982: p45 .

وهذا الأخير لم يكن التطور الاقتصادي والتجاري لمنطقة مازونة وقد لعبت في ظل هذا الصراع الداخلي فئة العلماء والشرفاء الدور الفعال في إصلاح المسائل المتخالف حولها"[1].

ولعل منطقة مازونة من أهم المناطق التي حظيت بالعلم لأنها عرفت العديد من المنشآت التي سخرت للعلم والتدريس وترقية المستوى الفكري والثقافي لأهلها.

إن أبرز العمران الذي ركزت عليه الدولة العثمانية المساجد والزوايا فمنها ما قامت ببنائه ومنه ما كان يرجع إلى شعوب أخرى تعاقبت على الجزائر والتي أصابها بعض التلف والإهمال فقامت بتشييدها .

وهذا التركيز يعود إلى "اعتبار هذه المساجد من أهم المؤسسات الثقافية بمنطقة مازونة التي هي ملتقى العباد ومجمع الأعيان ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية وقلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة كما نجد أن المساجد أيضا كانت الرابطة بين أهل القرية والمدينة لأنهم يشتركون جميعا في بنائها "[2]

ولقد كانت أكبر مؤسسة تغذي هذه المساجد جميعا الأوقاف التي كانت أغراضها كثيرة منها العناية بالعلم، العلماء والطلبة.[3]

---

[1] ــ يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر ، ص 20.

[2] ــ أبو القاسم سعد الله – تاريخ الجزائر الثقافي 1500- 1830 م ج3 لبنان دار الغرب الإسلامي ط1 1998 ص110.

[3] ــ المرجع نفسه ص244.

والمعروف أنه أثناء الحكم العثماني قام محمد الكبير بتشييد العديد من المساجد في كل من وهران بعد فتحها على يده سنة 1792 م مست غانم ، ندرومة،مليانة و مازونة وعن هذه الأخيرة ورد ذكر المساجد بها قليلا نظرا لقلة الوثائق التي أتلفها الزمان وضربت عليها عناكب النسيان إلا وثيقتين وجدتا بحالة جيدة أولهما بخط الداي بكداش لصالح قرية سيدي علي الكتروسي بتاريخ 1680 م.

حيث عين باشا الجزائر السيد أبو العباس عبد الله ابن أحمد بن خدة الكتروسي مفتيا وإمام جامع سيدي عيسى و عزوز يحي أبو ماتع بمازونة.[1]

وقد كان هذا المسجد من بين المساجد التي أسست في العهد العثماني وذلك حسب مذكرة TATAREAU حيث أنه أشار إلى وجود مسجدين ومقهى وهذه المساجد تعد من أبرز المساجد بالفترة العثمانية و بالإضافة إلى هذه المساجد هناك :

أـــ مسجد سيدي أمحمد بن شارف, بني من طرف الأتراك سنة 1700م[2]

و قد أوكلت مهمة أدارته إلي عائلة سيدي هني نظرا للمكانة العلمية التي تحتلها و يقع هذا المسجد علي الضفة الغربية للوادي الذي يجري بمازونة .[3]

[1] مولاي بلحميسي – دورة مازونة في الحركة العلمية والثقافية من ق15 إلى منتصف القرن الحالي 06.

[2] ـــ جنان الطاهر : مازونة عاصمة الظهرة ثغر حربي ومركز إشعاع حضاري ،ص 95 .

[3] ـــ يحي بوعزيز – علاقات الجزائر الخارجية مع دول و مماليك أوروبا 1500-1830،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر 1980ص 149 .

ب ـــ مسجد سيدي عبد الحق بالقصبة,بناه الأتراك عام 1600م.[1]

ج ـــ مسجد المدرسة بناه الأتراك عام 1029م تعبيرا منهم و شكرا عن الدور الذي لعبه الطلبة الخليليون و شيوخهم في الاستبسال إلي جانب العثمانيين في طرد الأسبان من وهران[2]

كما توجد مساجد أخري مثل مسجد سيدي علي بن لحسن بحي أبو ماتع و مسجد مولاي السويقي المتواجد بابي علوفة والتي تذكر الروايات الشفوية أنها بنيت أثناء العهد العثماني من طرف السلطات التركية ،إلا أن انعدام الوثائق الرسمية يجعلها مجرد روايات فقط .

-الزوايا : تعتبر الزاوية قلعة بث العلوم و توعية العقول و تربية النفوس و الأخذ بيد الأمة نحو السعادتين إلي كل كمال و هذا سواء في الريف أو المدينة حيث إنها تشكل رباطات نقط أساسية ضد الأعداء كما يظهر لنا علي الخصوص في التعليم فلقد كانت بالإضافة إلي وضيفتها الدينية معاهد لتعليم الشباب و تنوير العامة[3].

وهذه الزوايا كان يديرها شيخ حامل البركة ,منها التقليدية المبنية منذ العهد التركي و منها الجديدة التي بناها المنفصلون عن شيوخهم و معظم الزوايا الأولي كانت لها احباس تتمثل في الأراضي الزراعية و العقارات[4].

---

[1] ـــ جنان الطاهر: مازونة عاصمة الظهرة، الصفحة نفسها.

[2] ـــ جمال قنان: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500ـــ1830 ،المنشورات الوطنية للطباعة الجزائر1987 ص 224 .

[3] ـــ جنان الطاهر : مازونة عاصمة الظهرة... ، ص 96 .

[4] ـــ نسيب محمد: زوايا العلم و القرآن بالجزائر، سوريا، دار الفكر 1972، ص78.

ومن بين الزوايا التي ذاع صيتها في العهد العثماني :زاوية سيدي بللوش و زاوية سيدي غلام الله.

و في هذا يمكن القول أن المساجد و الزوايا تعددت وظائفها الدينية و الاجتماعية و التعليمية, فكلاهما كانتا مؤسستان دينيتان لتعليم و تحفيظ القران الكريم و كان لهما الدور الكبير في الوعظ و الإرشاد.

الفصل الأول :

دراسة عامة لمدينة

مازونة

أ ــ الإطار الطبيعي :

1) الموقع الفلكي :

تقع منطقة مازونة فلكيا بين خطي طول 0،45 و 0،53 شرق خط غرينتش و خطي عرض 36،03 و 36،07 شمال خط الاستواء و بذلك تكون بوابة الإقليم الغربي للجزائر[1].

2) الموقع الجغرافي:

تعد مازونة من المدن التاريخية التي مرت عليها مراحل عديدة ، وعانت عدة اضطرابات أدت إلى اندثار العديد من المعالم الهامة فيها .

تقع المدينة في قلب جبال الظهرة و تتميز بموقع إستراتيجي هام مكنها من أن تكون القلب النابض للمناطق المعزولة المجاورة ، حيث تقع هذه الأخيرة في ولاية غليزان في أقصى الشمال و تبعد عنها بحوالي 66 كلم من الجنوب و يربط بينهما الطريق رقم 90 ، ويمر بها الطريقان الولائيان رقم 29 و 08 و تبعد عن ولاية وهران بحوالي 200 كلم و تقع بالنسبة لها في أقصى الإقليم الشرقي و بحوالي 260 كلم عن العاصمة الجزائرية[2] ، تحد مدينة مازنة أربعة بلديات مجاورة هي : بلدية سيدي محمد بن علي من الشمال و بلدية القطار من الغرب و بلدية وار يزن من الجنوب و

[1] مصطفى الظريف ــ خالد كرا رمة : دراسة التوسطات العمرانية الحديثة لمدينة مازونة ، مذكرة تخرج لنيل شهادة مهندس دولة في التهيئة العمرانية قسم الجغرافيا و التهيئة العمرانية ، جامعة وهران 2001ص 15 .

[2] ميلود ميسوم : مدرسة مازونة دراسة تاريخية فنية ، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في الفنون الشعبية فسم الثقافة الشعبية تلمسان 2002 ص3 .

بلدية عين المران من الشرق التابعة لولاية شلف وتبعد عن ساحل البحر الأبيض المتوسط حوالي 54 كلم[1].

وتعد مازونة حلقة وصل بين العديد من المناطق المجاورة سواء التابعة لولاية غليزان أو لولايات أخرى، وهذا ما أعطاها ميزة المنطقة المحصنة إستراتيجيا و طبيعيا كما أنها تتربع على مساحة تقدر 7200 كلم^2 ذات حدود جعلتها تحتل موقعا إقليميا هاما باعتبارها منفذا حساسا للمدن[2].

3) جيولوجية المنطقة:

تقع مدينة مازونة في قلب جبال الظهرة ، وهي جبال تمتاز بتكوينها الصخري ، حيث أنها من الشمال تتكون من حجر كلسي رملي مرن أزرق يتخلله الجبس ، ومن الشمال نحو الجنوب سطح مرن أبيض ثم من الجنوب الرمل وهي تمتد على شكل أشرطة متوازية من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي [3] ، حيث وصفها الإدريسي قائلا : « ومن الشرق مدينة مازونة على ستة أميال من البحر ، وهي مدينة بين أجبل ذات أنهار و مزارع و بساتين و أسواق عامرة و مساكن مؤنقة ...»[4].

---

[1] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[2] جنان الطاهر : مازونة عاصمة الظهرة ثغر حربي و مركز إشعاع حضاري ، ص12 .

[3] Moulay Belhamissi : mazouna une petit ville longue histoire société nationale d'édition et diffusion, Alger 1982 p 13- 14.

[4] ــ الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، مكتبة الثقافة الدينية مجلد 1 مصر ص 271- 272

تمتاز منطقة مازونة باستقرارها ، حيث أنها خالية من الأنشطة التكتونية الناتجة عن الزلازل إلا من المناطق المجاورة مثل ولاية غليزان وولاية شلف لكنها لاتؤدي إلى أي خسائر مادية ، تتكون المدينة من منطقتين هما المنطقة السهلية و المنطقة الجبلية .

1ـــ المنطقة السهلية:

تمتاز باستواء سطحها و شساعة مساحتها ومن بينها (السهل القرى) الذي تبلغ مساحته حوالي 32،37 هكتار ويقع على ارتفاع 327 م عن سطح البحر ، تحده بلدية سيدي محمد بن علي من الشمال و مدينة مازونة من الجهة الجنوبية الشرقية و الجنوبية الغربية وبذلك يعد حوض واسع بالإضافة إلى كدية بن عربي و التي يبلغ ارتفاعها 387 م [1] .

2ـــ المنطقة الجبلية:

وهي مناطق وعرة في أقصى الشمال و الجنوب الشرقي حيث تقدر بحوالي40% وتبلغ فيها أعلى قمة بحوالي 558 م ، وهي هضبة خنانسة و يليه سيدي بلمهل بحوالي 468 م ثم يليه جبل الركبة 404 م وهي تعد من أهم الارتفاعات في مدينة مازونة هذا ما مهد الوضع لوجود أودية و انجراف التربة وهي مستغلة لزراعة أشجار الكاليتوس و المشمش و الزيتون و اللوز بالإضافة للغابات [2] .

[1] Djilali Sari : les villes précoloniales de l'Algérie aux dentale : nadroma, mazouna, kalàa Alger 1978 P 18- 22.

[2] مصطفى الظريف – خالد كرا رمة : دراسة التوسطات العمرانية .... ، ص 18 .

4) الســـكـــان:

مدينة مازونة كبقية المدن التي غلب عليها اختلاط الأقليات حيث نجد خليط بين السكان الأصليين و هم قبائل مغراوة البربرية بالإضافة للعثمانيين لدى نزولهم بالجزائر وهم الجيش الإنكشاري الذي استقر في ضواحي المدينة [1].

وفئة الكراغلة التي نشأت باختلاط الجيش الإنكشاري مع نساء أهل المنطقة فسكنوا في حي القصبة وجزء من حي أبو ماتع ، دون أن ننسى فئة اليهود التي كانت تستوطن في كل مدينة تتأسس،حيث كان لها دور هام في التجارة و يرجع أنها كانت تسكن حي تايسارت ، بالإضافة إلى سكان من العرب التي قالت فيهم جمعية الظهرة أنهم من فئة السكان الأصليين للمنطقة وترجع أصولها للفترة الإسلامية حيث يبلغ عددهم 1600 عربي[2] ، امتازت هذه الفئة العربية بالمحافظة على العادات و التقاليد بالإضافة إلى فئة الأندلسيين الذين استوطنوا في سواحل الظهرة خاصة في المنطقة الممتدة من تنس شرقا حتى مدينة مستغانم غربا طيلة القرن 16 م حتى نهايته [3].

5) مناخ المنطقة :

مناخ منطقة مازونة معتدل لاتوجد فوارق كبيرة في درجة الحرارة متوسط سقوط أمطارها من 300 إلى 600 ملم وهي تعاني من تذبذب في مستوى سقوط أمطارها من سنة لأخرى أي أنها غير منتظمة ، فالرياح الشمالية الغربية تكون محملة بالأمطار والرطوبة عكس الرياح الجنوبية

[1] ـــ جنان الطاهر : مازونة عاصمة الظهرة ص 39 .

[2] ـــ مصطفى الظريف ـــ خالد كرا رمة : المرجع السابق الصفحة نفسها .

[3] www.googel.com: www.djelfa/vb / shouth Read. mazouna PHP

التي تكون جافة و محملة بالغبار والرمل[1] أي أن مناخها يتبع مناخ البحر الأبيض المتوسط باعتبارها لا تبعد عن البحر إلا بحوالي 54 كلم .

6) الموقع الإداري:

يعود تعيين مدينة مازونة كمركز بلدي إلى الفترة الاستعمارية أي فترة الاحتلال الفرنسي و بالضبط سنة 1947 م وكانت جميع شؤونها آنذاك تسير من طرف البلدية المختلطة ب "أرنو" سيدي محمد بن علي حاليا ، وظلت على هذه الحالة الإدارية إلى غاية الاستقلال حيث أعيد تهيئة و هيكلة الأقاليم البلدية ومراجعة النظام البلدي القديم [2] وأصبحت بموجب ذلك مدينة مازونة بلدية مستقلة لها كامل الصلاحيات في تسيير شؤونها الإدارية المحلية ، وكان ذلك سنة 1967 م وعقب ذلك نصوص كان بين إجراءاتها إعادة تنظيم الحدود الإقليمية البلدية ومنها نص سنة 1974 م والذي ارتقت طبقا له مدينة مازونة إلى التعيين نظرا لموقعها الجغرافي الإستراتيجي[3] والذي تتميز به ،كذلك نتيجة الامتداد بنسيجها العمراني العتيق دون أن ننسى الدور التاريخي الذي تميزت به عن غيرها من المدن المتواجدة بالإقليم الغربي .

---

[1] ـــ فتيحة الواليش : الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال ق 18 م ، ص 42 .

[2] ـــ مصطفى الظريف ـــ خالد كرا رمة : دراسة التوسطات العمرانية الحديثة لمدينة مازونة ص 42 .

[3] ـــ محمد بن يلول ـــ فتيحة الجيلالي : دراسة عمرانية لمدينة عتيقة ، حالة مازونة من التكامل و الاندماج إلى الفوضى العمرانية ،مذكرة تخرج لنيل شهادة مهندس دولة في التهيئة العمرانية 1998 قسم الجغرافيا و التهيئة العمرانية جامعة وهران ص 14 .

ب ــ الإطار التاريخي:

إن مدينة مازونة من المدن التاريخية العتيقة والعريقة واقعة بين أحضان جبال الظهرة، تعتبر قاعدة تاريخية هامة لها موقع متميز يراقب الطريق بين الشرق والغرب، كانت ملتقى لعناصر مختلفة وحضارات متعددة وصفت منذ القدم بمدينة العلم والثقافة، أراضيها خصبة وغنية بثروتها الزراعية[1]، كل هذه الامتيازات تلفت نظر وانتباه الجزائر لهذه المدينة لا لشيء إلا أنها تميز مدى تكامل الخدمات بها، حيث أنها عانت من التنازع والتصارع أيام ملوك إفريقية والمرابطين والموحدين وبني زيان أصحاب تلمسان، ثم الأتراك الذين جعلوا منها أول بايلك لهم في الغرب الجزائري وبعد ذلك الفرنسيين بعد الاحتلال[2]، كل هذا جعلنا نخوض في أعماق التاريخ لنتحدث عن تأسيس هذه المدينة العريقة ومراحل تطورها .

1. تاريخ تأسيس مدينة مازونة :

هناك اختلافات كثيرة حول تاريخ تأسيس هذه المدينة ،لكن المتفق عليه بين كتابات الرحالة والمؤرخين أن تاريخ مدينة مازونة راجع إلى العهـــد الرومانـــي وقد ثبت ذلك بالعثور على أثار وقطع نقدية رومانية[3] .

---

[1]ــ مار مول كربخال : إفريقيا ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ج2 الإسكندرية 1984 ص 395 .

[2]ــ مولاي بلحميسي : دور مدرسة مازونة في الحركة العلمية والثقافية من ق1 إلى منتصف ق20 ، مجلة العصر ع 11 ، 1997/10/1 الجزائر ص 8 .

[3]Moulay Belhamissi : op cit p 27

كما يذكر الرحالة الإسباني مار مول في كتاباته أن مازونة مدينة قديمة أسسها الرومان ،[1]معتمدا في ذلك على وجود اللوحات المنقوشة لذلك العصر .

بينما صرح الدكتور مولاي بلحميسي أن الكاتب اللاتيني بلان أشار إلى وجود قمح الظهرة وإنتاج المنطقة للزيت [2] وخلافا لهذا صرح ابن خلدون أن المدينة حديثة عن ذلك التاريخ فقد أسسها عبد الرحمان أبو منديل زعيم مغراوة في ق 12 م [3] كما يشير محمد بن يوسف الزياني إلى أن مازونة دمرت سنة 665هـ ،وهذا إن ذل على شيء فإنه يدل على أن مازونة كانت موجودة من قبل وما أثبت هذا الطرح هما القطعتين الأثريتين اللتان وجدتا بمنطقة سيدي محمد بن علي والتي تبعد عن مازونة بـ 4 كلم وطبقا للشبه الجغرافي للاسمين المنقوشين على القطعتين كلمة ماسونة باللاتينية وكلمة مازونة بالبربرية والشبه واضح [4] كما يبين Gsell في كتاباته عن اكتشافه في نفس المنطقة في الناحية الغربية لأثار صناعية وهي بقايا لصناعات فخارية بربرية إضافة إلى أماكن الري المهيأة التي تبرهن على الوجود البشري بالمنطقة منذ القدم، وتبرهن أيضا عن بربرية المدينة وإقامة قديمة لزعيم قبيلة الماسون ، المعروف باسم ريجيس ماسين جانتيس [5] .

---

[1]Marmol Caryal : description générale d'Africa 1753, tard Franc. Pérot d'ablencour pari 1867, 3 Vol p 254

[2]_ Moulay Belhaissi :OP cit p 21

[3]_ عبد الرحمان ابن خلدون: كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات ج4.بيروت- لبنان-1971 ص 134.

[4] _ Moulay Belhaissi :OP cit p 21.

[5] _ Djilali sari les villes précoloniales de l'Algérie occidentale :Mazouna Nadroma Kalaâ. Alger 1970 snsd p 32.

لقد جاء رأي الكاتب الإنجليزي شاو مخالفا للمؤرخين حيث يذكر أن مازونة أسست من طرف الأهالي مستدلا في ذلك على البنايات التي تشبه القلعة والآثار التي ترجع إلى عهد الفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب [1].

يعتبر هذا القول خاطئا مقارنة مع ما جاء به الإدريسي بتحديداته وتفاصيله بأن المدينة كانت موجودة منذ القدم ببضعة قرون قبل الإسلام [2] ويبقى الاحتمال بين العراقة والحداثة بشأن تأسيسها بأدلتها وشهادات الجغرافيين والرحالة العرب بإيحاءاتهم المعاصرة والتواجد الروماني وملوك البربر.

2. أصل تسمية المدينة :

تضاربت أراء كثيرة حول أصل تسمية المدينة منهم من قال أن مازونة هي إسم لرئيس قبيلة يدعى "مازون" المعروف باسم رجيس ماسينغ جانسين ،كما يذكر الدكتور مولاي بلحميسي أن مازونة استنبط اسمها من اسم ملكة كانت تملك كترا من النقود يسمى (موزونة) [3] ويروى أيضا أنا ملكا حط رحاله أثناء مروره بمازونة بأحد جبالها وكانت

---

[1] ــ Show Thomas : Voyage dan la régence d'Alger ,trad. Maccarthy 1830 p252 .

[2] ــ الإدريسي : وصف إفريقيا الشمالية من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق لتصحيح و نشر هنري بيرس ط1 الجزائر1957 ص 72 .

4 ــ محمد يوسف الزياني : دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران ، تقديم و تحقيق المهدي البوعبدلي(د.ط) الجزائر 1978ص55 .

ترافقه ابنته اسمها "زونه" فطلب من رجاله أن يحضروا لها ماءا ، وعندما وجدوا منبع ماء احتكروه لها و حرموه على الناس و قالوا إن هذا الماء ماء زونه [1] .

كما ظهرت أراء أخرى تشير إلى أن مازونة كلمة بربرية تعني أرض الرجال الأقوياء و آخرون يرون أنها ماسينا و هي اسم لمدينة رومانية ، بينما يجدها بطليموس (146 ق،م) أنها مملكة تابعة لنوميديا في عهد ماسينيسا [2] ومع هذا كله تبقى الآراء متضاربة و الجدال قائم بين ما ذكرته الكتـــب و ما قالته الروايات .

3 ــ المراحل التاريخية التي مرت بها مازونة :

ــ فترة ما قبل التاريخ :

لم ترد أي معلومات كافية عن هذه الفترة في مدينة مازونة إلا أنه تم العثور على صناعة موستيرية بواد تامدة و وار يزن [3] و الصناعة الموستيرية هي صناعة ظهرت في فترة البايلوليني الأوسط ، أول مرة في أوربا ثم شاعت في الشرق الأوسط وصولا إلى شمال إفريقيا ، لكن الفترة قصيرة ، و يصل نطاقها حتى إفريقيا الشرقية و الجنوبية على شكل ثقافات محلية و تتخصص هذه الصناعة في صناعة الشظايا مثل المكاشط والمحكات و المثاقب و غيرها حيث تشعبت لدرجة بروز ثقافات جد محلية [4] و هذا يعني أن وجود مدينة مازونة في فترة ما قبل التاريخ غير واضحة تماما .

---

[1] ــ Moulay Bellissime Op.Cit. p 21

[2] ــ بوكبشة محمد من مجلة الجندي 2009/10/1م العدد413 ص29 .

[3] ــ جمعية الظهرة : مازونة 2200سنة من التاريخ ، العدد7ص12.

[4] ــ محمد سحنوني : ما قبل التاريخ ، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر ص103.

ـــ الفترة البربرية:

يذكر الرحالة شريف الإدريسي << ....وهي مدينة بين أجبل، و هي أسفل خندق....يجتمع إليه أصناف من البربر بضروب من الفاكهة و الألبان و السمن و العسل....>>[1].

من خلال مقوله الشريف الإدريسي نجد أن المدينة وجدت في الفترة البربرية و أن الحياة فيها كانت مزدهرة ، كما بين **Gsell** على اكتشاف بقايا بربرية تتمثل في شقف فخارية[2].

ـــ الفترة الرومانية:

كانت مازونة في بادئ الأمر تحت الحكم النوميدي لكنها سرعان ما سقطت تحت حكم المملكة الموريتانية،إلا أن هذا الصراع بين مملكتين فتح الباب على مصراعيه للقوة الرومانية فأدى إلى سقوط المملكتين و سقوط مدينة مازونة مرة أخرى تحت الحكم الروماني مثل باقي المناطق : تيهرت ، شرشال و تنس وأسسوا مراكز عسكرية تدفع عنهم الضربات البربرية[3].

كما أكد هذا القول حسن الوزان في القرن السادس عشر ميلادي، حيث يقول " ... تمتد على مساحة شاسعة و تحيط بها أسوار متينة.... و يشاهد بقرب المدينة أماكن مما بناه الرومان ...لكن على أصلها الروماني في عدد وافر من الكتابات و النقوش على قطع الرخام..." [4]

---

[1] ـــ يحي بوعزيز : الموجز في تاريخ الجزائر، الجزء1 ديوان المطبوعات الجامعية جوان 103

[2] ـــDjilali sari : OP cit P 32.

[3] ـــ جمعية الظهرة : مازونة 2200 سنة من التاريخ ص 18.

[4] ـــ الحسن محمد الوزان الفاسي : وصف إفريقيا ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر دار الغرب الإسلامي ط2. ج 2 ، 1983 ص36.

يقول مار ومول كريخال عن مازونة " مدينة عتيقة بين مستغانم و تنس في داخل البلاد، جعلها بطليموس عند 16 درجة من خطوط الطول و 23 درجة و 40 دقيقة من خطوط العرض، و أسماها عنده مستعمرة الحصن الجديد أسوارها عالية حصينة بها قلعة فيها قصر رائق، منطقتها شاسعة ترى بها أنقاض عدة حيث تشاهد بها لحد الآن لوحات كثيرة من المرمر و التماثيل من الحجر و عليها كتابات لاتينية منقوشة ..."[1].

ـــ الفترة الإسلامية:

اعتنق أهل مازونة الدين الإسلامي، عند وصول الفتوحات الإسلامية لمنطقة المغرب العربي على يد عقبة بن نافع و لم تدخر مدينة مازونة جهداً في مساعدة الجيش الإسلامي في الفتوحات لكن هذه الفترة تحتوي العديد من النزاعات و الصراعات امتدت حتى العهد الزياني ومع ضعف ولاية القيروان و تصدع الخلافة بدمشق ثارت القبائل البربرية بقيادة عبد الرحمان ابن رستم، وقد امتد نفوذها حتى مازونة و تنس شمالاً[2]، ومع قيام الدولة المرابطية بقيادة يوسف ابن تاشفين عاد الصراع للمنطقة ففتح وهران سنة 1080م[3].

[1] ـــ مار مول كريخال : إفريقيا، الجمعية المغربية لتأليف و الترجمة والنشر ج2 (1988-1989) ص 359.

[2] ـــ الأغا بن عودة : طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و إسبانيا إلى أواخر ق 19م ج1 تحقيق ودراسة يحي بوعزيز دار الغرب الإسلامي ط1لبنان ص 125.

[3] ـــ المرجع نفسه ص 125.

ثم مازونة وبعد انهيار المرابطين وحلول الدولة الموحدية مكانها بقيادة عبد المؤمن ابن علي، وبمساعدة سكان مازونة وصل نفوذهم حتى سهل شلف [1]، وبعد سقوط الدولة الموحدية قام صراع بين الدويلات المنقسمة وحاولت كل واحد منها فرض سلطتها على شمال الإفريقي الممتد من تونس إلى المغرب الأقصى وعانت مازونة من هذا الصراع نظراً لتوسعها الدولتين الحفصية والمرينية بإضافة الدولة الزيانية، التي تعتبر منطقة مازونة امتدادا طبيعياً لها، حيث استولى عليها عثمان بن يغمراسن سنة 1272م [2]، وبعد الصراع الذي حدث بين بنو زيان و المرينيين خضعت هذه الأخيرة إلى الحكم المر يني، و تولاها السلطان أبي سعيد أخو أبو ثابت من بني عبد الوادي [3]، وبعد كل هذه الخلافات السياسية و الاضطرابات والحروب أتى عهد الأتراك وبذلك أصبحت مازونة بموقعها الجغرافي بايلك الغرب الأول للعثمانيين.

ـــ الفترة العثمانية:

مع مطلع القرن 16م عرفت مدينة مازونة قفزة و تحولاً سياسياً جدرياً حيث صارت أول بايلك للغرب في العهد العثماني سنة 1552م ثم تحولت إلى معسكر وأخيراً صارت في وهران [4] .

[1] ـــ محمد الطاهر : مازونة عهد العلم و الحضارة، مجلة غليزان أحداث العدد السابع، 7 ماي 1995 ص 12.

[2] ـــ إبن خلدون : العبر و ديوان المبتدأ و الخبر .... ص 90،87.

[3] ـــ الجيلالي بلخير : الوالي الصالح سيدي الناصر عالماً و متصوفاً، ديوان المطبوعات الجامعية وهران ص 255.

[4] – محمد بن ميمون الجزائري : المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم و تحقيق محمد بن عبد الكريم ط2 الجزائر 1981 ص 36 .

فقد ذكرت بعض المراجع أن سكان مازونة لم يستسلموا العثمانيين في بادئ الأمر بل ناضلوا ودافعوا عن حريتهم وكرامتهم قرابة نصف قرن من الزمن و إنتهى بتسليم المدينة و إقامة الحكم العثماني وتعيين الباشا لإيالة مازونة حاكماً لمدة سنتين[1].

بمقتضى التقسيم الإداري لقاضي البلاد إلى ثلاث بايلكات اختيرت مازونة كعاصمة لبايلك الغرب، و ساهمت بعدة حملات عسكرية ضد الاحتلال الإسباني لوهران و ذلك طيلة الفترة الممتدة من سنة 1563م إلى غاية 1791م، حيث توفي أخر باياتها، الباي شعبان الزنا قي، وهو محاصراً في وهران سنة 1686م ، مما جاء في قول أحدهم " .... مازونة و أول باياتها حسن بن خير الدين باشا و سلم في وظيفة ثم أبو خديجة ثم صواف ومات مسموماً بسم سقته له زوجته ثم السايح الذي مارس الحكم إحدى عشر سنة ومات ثم ساعد ومنه إلى محمد بن عيسى وهو السادس عشر من باياتها، ثم شعبان الزنا قي الذي لقي حتفه في صراع وهران "[2] ويفهم من هذا القول أن مازونة تداول على حكمها سبعة عشر بايا ً هذا يوضح مدى أهميتها فقد كان لمازونة خلال الاحتلال الإسباني للشواطئ الغربية من البلاد دوراً رائداً في قيادة الجهاد ضد الأسبان .

[1] ــ ميلود ميسوم : مدرسة مازونة دراسة تاريخية فنية ص10.

[2] ــ بن عودة ألمزاري: طلوع سعد السعود...، ص271.

إذ تذكر المراجع بعض الحملات التي شارك فيها الأهالي للجهاد في وهران ومنها تلك التي قام بها حسن باشا عام 1568م، وحملة بوشلاغم عام 1708م وحملات أخرى في عهد الباي عثمان استمرت إلى غاية طرد الأسبان من ميناء وهران[1].

بقيت مازونة عاصمة بايلك الغرب إلى أواخر القرن 18م، وفي سنة 1686م تولى مصطفى بوشلاغم ابن يوسف بن محمد بن إسحاق ألمسراتي بايا على مازونة وتلسمان، فهو أول من جمعت له الإيالة الغربية [2]، وفي سنة 1701م نقل مركز البايلك من مازونة إلى معسكر.

في سنة 1791م شاركت مازونة مع جيش مستغانم و القلعة وكافة الأعراش ضد الهجومات الإسبانية على وهران، ثم تحرير المدينة على يد محمد بن إبراهيم في نفس السنة [3]وفي سنة 1807م دخل محمد الركيد بوكابوس مازونة و سكن بها وكان قد أعلن عصيانه على الدولة التركية و ولاءه لسلطان المغرب مولاي سليمان بن عبد الله غير أنه قتل من طرف أغا الذي تم تعيينه من طرف الباي، حينما أصبحت مازونة مقر أغاليك[4].

ـ فترة الاحتلال الفرنسي :

[1] ـ ميلود ميسوم : مدرسة مازونة دراسة فنية و تاريخية ،ص11 .

[2] ـ جنان الطاهر : مازونة عاصمة الظهرة ....،ص22.

[3] ـ بن عودة المزاري، مرجع سبق ذكره ص25.

[4] جنان الطاهر : مرجع سبق ذكره ، ص21.

لقد عرفت مدينة مازونة في عهد الحكم العثماني استقرارا سياسياً وعسكرياً، كاد أن يمحي سنوات الحروب التي اجتاحت المنطقة، لكن وفي ظل ظهور بوادر انهيار الدولة العثمانية سارع الاستعمار الغربي باكتساح المناطق الإفريقية، ومن بينها الجزائر التي احتلها الاستعمار الفرنسي وبذلك عاودت الاضطرابات و الحروب تدق أبواب مدينة مازونة من جديد، و لم تمتثل للأمر الواقع و أمدت الأمير عبد القادر بالمساعدات في مقاومته ضد الاستعمار الفرنسي، حيث قام عبد القادر في النظر إلى التقسيم الإداري في عهد العثمانيين و أعاد تقسيم البلاد من جديد حيث قسمت إلى ثمانية مقاطعات، وقسمت هذه المقاطعات إلى دوائر، ووضع على رأس كل دائرة قائداً تشمل مجموعة من القبائل[1]، وهكذا تحصلت مازونة على مركز قيادي .

قام أهالي منطقة مازونة سنة 1838م تحت قيادة سي قدور ابن هافس تحت إمرة الأمير عبد القادر، وبعد استشهاده خلفه سي عبد القادر سنة 1840م، في أكثر من 200 جندي وبقيت المقاومة حتى القبض على الأمير عبد القادر [2].

و انضمت مازونة سنة 1843م للحكم الفرنسي و بذلك دخلتها القوات الفرنسية بقيادة الجنرال جوشيل و المارشال بيجو[3]، ولطمس معالم المدينة عمدت فرنسا لبناء و أقامت منطقة عسكرية بـ "رنو" على بعد 3كلم المعروف

[1] ـــ المختار بونقاب : تاريخ الطريقة الدرقاوية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير قسم التاريخ جامعة وهران 2002-2003 ص72.

[2] ـــ مصطفى ظريف – خالد كرا رمة : دراسات التوسطات العمرانية ... ص33.

[3] ـــ جمعية الظهرة : مازونة 2200 سنة من التاريخ ص45.

حالياً بدائرة سيدي أمحمد بن علي بين 1830-1882، كما أقاموا بها مراكز علمية لجذب السكان إليها، مع خريجي مدرسة مازونة [1]، إضافة إلى طمس عدة معالم أثرية و تشويهها وعمد عدة قادة عسكريين فرنسيين إلى إعادة بناء المدرسة لتشويه معالمها وبعد ذلك التحقت مازونة التقسيم الإداري لبلديات المختلطة سنة 1873م و ألحقت بالبلدية رنو، سيدي أمحمد بن علي حالياً التي تبعد عنها بحوالي 3 كلم و ذلك لتسهيل المراقبة حولها و المحيط بها.

[1] ـ المرجع السابق الصفحة نفسها.

الفصل الثاني:

أهم جوانب الحياة

لمدينة مازونة

أـ الجانـــب السيـــاسي لمـــدينة مـــازونة .

لقد بدأت الحياة السياسية لمدينة مازونة في الفترة العثمانية إبتداءا من دخول الإخوة بربروس البلاد ســـــنة 1516م ، فكان أول ماقاموا به أن إتخذوا من الجزائر عاصمة العمالة العثمانية الجديدة، ثم بدأوا في إعداد العدة لترصد العدو المسيحي فشنوا العديد من الحملات بقيادة عروج في كل من جيجل و بجاية و تنس ثم تلمسان بعد أن تلقوا نداء النجدة من المماليك التي كانت تحت رحمة أمرائها الذين عاثوا في المنطقة فسادا و سيروا ثروتها إلى فقر شامل[1].

فمباشرة من تنس وجه عروج الوجهة نحو تلمسان مرورا بقلعة بني راشد بضواحي مازونة والتي إستقبله سكانها بحفاوة بالغة لما علقوا عليه من أمال في تحريرهم من قيود الظلم،ونظرا لإدراك عروج أهمية المنطقة الجغرافية وطاقتها الاقتصادية قام بتشييد حامية عسكرية وأولى قيادتها إلى إلى أخيه إسحاق، ويذكر لنا الأستاذ مولاي بلحميسي أنه خلال العهد العثماني كانت هناك حامية عسكرية صغيرة تعسكر ب80 خيمة مهمتها حماية و توسيع التأثير التركي إلى شرق وغرب البايلك[2] وهذا حدث خلال فترة حكم الحسن ابن خير الدين المنطقة باعتبار أن الحامية التي شكلها كانت أكبر من سابقتها في عهد أبيـــه خـــير الدين وعمه عروج كما قام هذا الأخير بتأسيس حي النوبة بصفته مستقر البايات وقادة الجهة وأسكن الكراغلة والأتراك حي القصبة وفي جزء من حي أبو ماتع[3].

انطلاقا من هذا الاختيار تقفز مازونة قفزة واضحة لتدخل باب التاريخ العثماني من بابه الواسع وهذا من خلال اختيارهم لها كمقر للحكم ونقطة انطلاق الحملات ضد الأسبان ، وقد عبر الاستاد بلحميسي

---

[1] ـــ مولاي بلحميسي : مازونة مقصد الدارسين وقلعة الخليليين ، ص 3

[2] ـــ العفاني فتيحة ـــ يمينةحمودي :الحياة الفكرية لمدينة مازونة خلال القرنين 19م و20م ، مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس، معهد التاريخ ، معسكر قسم التاريخ ص 10

[3] ـــ جمال قنان: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830، ص 222

بدوره عن أهمية المنطقة بقوله :(...أنها تقع وسط جبال تمتد من الزكار إلى مصب الشلف قرب مستغانم فالمكان ممتاز للغاية إذ البلدة في ملتقى الطرق الرابطة بين الشرق و الغرب وتراقب الممر الاستراتيجي والاقتصادي وتحيط بها أودية وعيون وغابات وبساتين مما زادها أهمية...)[1].

بعد البيلرباي الحسن تولى حكم المنطقة الباي بخديجة 1569م بعدما عينه البايلرباي الحسن الذي فشل في معاركه ضد المرسى الكبير وبني راشد و مستغانم بالرغم من التعاون الذي لقيه من أهالي المدينة [2] ،وشيوخ القبائل المجاورة فقام الحسن بإمداده ب2000 رجل تركي و80 خيمة ، كما ساندته العشائر المجاورة بالخيول والأموال والأرواح قصد تكرار الهجوم على المرسى الكبير وحدث ذلك فعلا سنة1580م ، ومن بعده توالت الهجمات مع بايات آخرين مثل الباي سواق الذي قيل انه مات مسموما بسم وضعته له زوجته [3]، ثم خلفه الباي السايح المازوني وبقي في الملك 11 سنة ومات ثم خلفه الباي الساعد وتولى الحكم بعده نحو10 بـــايـــات ثم الباي محمد عيسى وهو 16من باياتها ثم الباي شعبان الزناقي الذي كان مستقرا بمازونة في حدود 1679م الذي تولى الحكم إلى غاية 1686م حيث توفي بالجهاد في وهران [4] وفي سنة 1686م تولى مصطفى بوشلاغم بن يوسف بن إسحاق المصراتي بايا على مازونة وتلمسان ، فهو أول ماجمعت له الايالة الغربية [5].

قام الباي بوشلاغم بنقل كرسي البايلك من مازونة إلى معسكر سنة 1708م هدفا منه لتحرير أحر القلاع المحتلة في وهران ، وبعد نقل كرسي البايلك أصبحت مازونة قسما من الأقسام الستة التابعة للبايلك

---

[1] ـــ العفاني ـــ حمودي يمينة : الحياة الفكرية لمدينة مازونة خلال القرنين 19م و20م ، ص 9 .

[2] ـــ المرجع نفسه ،الصفحة نفسها .

[3] ـــ الأغا بن عودة المزاي : طلوع سعد السعود..... ، ص 357

[4] ـــ المرجع نفسه ص 274

[5] ـــ يحي بوعزيز : علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك اروبا 1500-1830 ، ص 103 .

وكانت تحت حكم قائد البلد الذي يتحكم بدوره في شيخ البلد وسكانها وفي هذه الإثناء عين على قارة باغلي وثم إلباسه القفطان من طرف عمر أغا[1] .

وفي سنة 1807م دخل محمد الركيد بوكابوس(1807-1812) مازونة وسكن بها وكان قد أعلن عصيانه على الدولة التركية وولاءه لسلطان المغرب مولاي سليمان ، غيرانة قتل من طرف الأغا عمرو نصب في مكانه على قارة باغلي والذي امتد حكمها إلى غاية 1817م ، وإعلان بوكابوس عصيانه يشير إلى أن الحكم التركي اظهر فساده في أواخر عهده حيث تميز بتعفن الجهاز الإداري وانتشار الرشوة وتدخل الجيش في أمور الحكم وهذا ما وضحه مسلم بن عبد القادر ألوهراني في قوله :(....إن الأتراك لم يكونوا أهلا للحكم في أواخر عهده....وحكموا البلاد30 سنة و لم تكن فيها سياسة رشيدة ولا كان حكمهم فيها عادل على العموم، فكان من الطبيعي إن يكثر الناقمون والثائرون عليهم)[2].

ب ــ الجانب الاجتماعي والاقتصادي .

إن مدينة مازونة بحكم موقعها الاستراتيجي و أهميتها التاريخية جلبت إليها العديد من العناصر البشرية ، فكانت موطنا لعدة جماعات سكانية مختلفة ، وهذا حدث خلال تلك المهن والنشاطات التي كانت تقوم بها الجماعات السكانية ،وهذا ما سنوضحه من خلال هذه الدراسة .

1ــ الحيــاة الاجتــماعية:

[1] ــ يحي بوعزيز : علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك اروبا 1500-1830 ، 1980 ص 103 .

[2] ــ مسلم بن عبد القادرالوهراني : أنيس الغريب و المسافر، تاريخ بايات وهران المتأخر ، تقديم رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1974 الجزائر ص **55** .

أهم ميزة تميزت بها الحياة الاجتماعية لمازونة هي التنوع والتعدد في عناصرها السكانية ، وتمثل هذا التنوع والتعدد في تباين العناصر التي شكلت التركيبة الاجتماعية لمازونة ، فنجد في مقدمة هذه العناصر: العنصر المحلي وهم الحضر حيث أنهم عبارة عن مجموعة صقلتها سنين التحضر إلى درجة أنها أصبحت تشكل نموذجا اثنيا خاصا ومميزا إضافة إلى هذا العنصر عرفت المدينة قدوم جاليات وطوائف متعددة ومختلفة ولعل أهمها الجالية الأندلسية التي توافدت على المنطقة إثر قرارات الطرد منذالقرن15وتواصلت في توافدها طيلة ق16وق17[1]وتعتبر هذه الأخيرة رأس قائمة الجاليات وذلك نتيجة ارتفاع عددها وأهميتها في التركيبة الاجتماعية وعليه فإن الحضر والأندلسيين تقاسموا النشاطات الحرفية والتجارية والثقافية والفكرية حيث كانت هذه الممارسات والأنشطة الصفة الغالبة والمميزة لهذه العناصر[2]أما العنصر الثالث فتمثل في الفئة التركية والتي شغلت مجالات إدارية و سياسية و عسكرية ، كما ضمت تجارا و عمالا يمارسون مهنا مختلفة ، فكان للأتراك الصف الأول للإدارة [3] .

وتولد عن امتزاج العناصر التركية بالعناصر المحلية وجود فئة جديدة و هي فئة الكراغلة والتي تعتبر فئة حضرية إذ تكاثر عدد هذه المجموعة مع مرور السنين نتيجة ارتباطهم بالعنصر المحلي و بهذا شكل الكراغلة عنصر ربط بين المجتمع و العناصر الحاكمة [4] أما الأقليات الأخرى فتمثلت في اليهود الذين قدموا من المشرق منذ أزمنة بعيدة.

[1] ــ عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام ، ديوان المطبوعات الجامعية، جزء 3 الجزائر1892 ص 13_15 .

[2] ــ ميلود ميسوم : مدرسة مازونة دراسة تاريخية فنية ص 22.

[3] ــ أبو القاسم سعد الله: بعض التحولات في مسيرة التعليم بالجزائر خلال العهد العثماني ، جريدة البصائر العدد1 28 جانفي 2002 ، الجزائر ص 13 .

[4] ــ ميلود ميسوم : مدرسة مازونة دراسة تاريخية فنية ،ص 23 .

إن التباين الاجتماعي تمثل في المراكز الحضرية و التي كان لها تأثير في ملكية الأراضي فعلى سبيل المثال الموظفون الأتراك لهم قسم كبير من مساحة الأرض ، فلقد أقام العثمانيون مركزا إداريا و عسكريا بالبلدة باعتبارها عاصمة بايلك الغرب ، الشيء الذي أثر في الملكية العقارية للأرض حيث أسسوا : ـــ ملكية البايلك حوالي ربع مساحة الأراضي المنتجة أي حوالي 4000 هكتار.ـــ ملكية الأوقاف و هذه الملكية كانت في صالح المرابطين، وتبع ذلك برفض الضرائب علي الجماعات الريفية المجاورة للبلدة مما أدى إلى اختلال التوازن و ظهور التفرقة الاجتماعية [1] وأدى استقرار الإدارة العثمانية بالبلدة إلى تحديث المجتمع من التقليدي إلي الحضري حيث تميزت العلاقات الاجتماعية بالتبادل بين الإفراد في نقاط القواعد التي تحكم المجتمع الحضري و الدافع إلى المحافظة علي وجودهم وتحسين أحوالهم وإلي إشباع حاجاتهم نتيجة لتقسيم العمل و التخصص كالأتي : طبقة الفلاحون وهم البدو يمولون المنطقة بالمنتوجات الزراعية كالحبوب والخضر والفواكه والحلفاء والخشب إضافة إلى المنتوجات الحيوانية كالجلود والصوف والعسل واللحوم[2].

طبقة الحرفيون : هم سكان الحضر أي المدينة تتمثل منتوجاتهم في صناعة الفخار والأنسجة ودباغة الجلود وتجهيز الفرسان أما طبقة الموظفون فمعظمهم من الأتراك والكراغلة يقومون بالمصالح الإدارية والتنظيمية بينما طبقة التجار فقد كان بالبلدة سوق أسبوعي يتبادل فيه الناس منتوجاتهم[3] فوظيفة السوق تعمل على توطيد العلاقة بين الحضر والبدو.

[1] ـــ عباس محمد : الدور العلمي والاجتماعي السياسي لمدرسة مازونة الفقهية دراسة مونغرافية ما بين ق15وق19 ، مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس معهد علم الاجتماع السينيا وهران 1997م ص 17 .

[2] ـــ ميلود ميسوم : مدرسة مازونة دراسة تاريخية فنية ، ص23 .

[3] ـــ المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

ـ الأحوال الصحية :

لقد عاشت الجزائر عامة في العهد العثماني اضمحلالا اجتماعيا وتقهقرا اقتصاديا واكبه سوء الأحوال الصحية المعاشة خاصة خلال القرنين 14م و15م ثم ما لبثت أن تحسنت أوضاع البلاد طيلة ق 16م ، والنصف الأول من ق 17م [1] بعد قدوم المركسيين واستقرارهم بالجهات الساحلية إذ استصلحوا أراضيها و عمروا مدنها فتوسع العمران في المدن الجزائرية بما فيها مدن بايلك الغرب مثل وهران و تلمسان و مستغانم و قلعة بني راشد و زمورة و مازونة ، إلا أنه سرعان ما اضمحل هذا التحسن مرة أخرى لتدخل البلاد من جديد في ركود اقتصادي أدى إلى انكماش عمراني طيلة النصف الثاني من القرن 17م والنصف الأول من القرن 18م ، كما أدى من جهة أخرى إلى كثرة انتشار الأمراض والأوبئة الفتاكة التي أثرت سلبا على حالة السكان الصحية و المعاشية [2] والتي أصبحت في تدهور مستمر نحو الأسوأ ومن بين هاته الأمراض :الكوليرا والتيفوس والجدري والطاعون ، التي عم انتشارها في القرن 16م و القرن 17م و أيضا خلال القرن 18م [3] .

ويضاف إلى تلك الأمراض زحف الجراد فيما بين 1663م و 1824 م ، والذي تسبب في مجاعة كبرى في الجزائر زيادة عن الجفاف الذي امتد فيما بين 1579 م إلى 1580 م و بين 1609 م و 1612 م و بين 1734 م و 1737 م وهاته الأحوال مست كافة مناطق البلاد و لم تمنع مازونة منها بل كان شأنها شأن المدن الأخرى التي عانت ويلات المجاعة والجفاف و الأوبئة ....الخ[4].

---

[1] ـ ناصر الدين سعيد وني: دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة و المعاصرة، ج1 المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984 م ص 123.

[2] ـ المرجع السابق ،الصفحة نفسها .

[3] ـ الطاهر جنان : مازونة عاصمة الظهرة ... . ص 40 .

[4] ـ ناصر الدين سعيدوني : المرجع السابق :الصفحة نفسها .

2 ــ الحياة الاقتصادية:

مما لا شك فيه أن سوء الأحوال الاجتماعية أثر سلبا على الأحوال الاقتصادية خاصة في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني و ذلك بالأخذ بعين الاعتبار أن منطقة مازونة منطقة زراعية بالدرجة الأولى و ما ساعدها على ذلك ملائمة المناخ إضافة إلى موقعها في وسط جبال الظهرة [1] ، مما وفر لها ظروف العمل الزراعي المتنوع و الملائم لاحتياجات السكان ، إضافة إلى توفر الأراضي الخصبة الصالحة للزراعة كالكروم و غرس البساتين و زرع الحبوب و في هذا الصدد تحدث الإدريسي عن موقع المدينة فقال : ((... بين أجبل أسفل خندق ولها أنهار و مزارع و بساتين... وهي مدينة كبيرة لها مزارع كثيرة و لها واد يجري في شرقيها وعليه بساتين و جنات عامرة و سقي كثير ...)) [2]، كما تحدث ليون الإفريقي عن توفر القمح في كل من مازونة و مستغانم و تنس و قسنطينة و أشار إلى أن هذه المدن محاطة بأراضي جيدة صالحة لإنتاج الحبوب [3] ، كما نجد أن الكاتب اللاتيني بلان أشار إلى وجود قمح الظهرة و إنتاج المنطقة للزيت[4].

وقد كان من الممكن أن تزدهر الزراعة داخل المنطقة بالرغم من الاضطرابات السياسية التي كانت تعم الجزائر،و سوء الأحوال الاجتماعية ذلك اعتبارا أن موقعها كان بعيد، إلا أن السياسة الجبائية العثمانية كانت تشتمل على مظالم اجتماعية جعلت الفلاحين ينصرفون عن الفلاحة كما كان للثورات الداخلية التمردية على الدولة العثمانية مثل الطريقة الدرقاوية و الثورة التيجانية تأثير على الجانب الاقتصادي حيث فسدت الزراعة بسبب قيام الأعراش على بعضهم البعض بالنهب و الفساد ومن أجل ذلك الاضطراب انعدمت

---

[1] ــ الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الأفاق... ، ص 100 .

[2] ــ المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

[3] ــ حسن الوزان : وصف إفريقيا ، ص 36 .

[4] ــ Moulay Belhamissi op cit P 28

الحراثة في جهات كثيرة و انفقدت حبوب الزرع بقيام ذلك الهول و عز إخراجها و عز من يأتي بها إلى الأسواق مخافة الطرق وقتئذ [1]، أما من حيث المحاصيل الزراعية فقد اختصت مازونة بزراعة الحبوب كما سبق الذكر لأنه كان المحصول الرئيسي المعد للاستهلاك و ازدهرت الباستين بأراضي الفحوص المحيطة بالمدن كوهران، معسكر ، مـــــــازونة و تلمســـان .

و حسب جيلا لي صاري فإنه إلى جانب القمح كمادة أساسية وجدت موادا أخرى كالحمص والمشمش ، خاصة بمازونة و القلعة و ندرومة و كان تين مازونة يباع لكل من شلف والأسبان [2] ، كما أكد جنان الطاهر أن موقع مازونة و مناخها هما اللذان ساعداها على توفر الباستين بها و زرع الحبوب و الكروم [3] إلا أنه بالرغم من تنوع المحاصيل فإن الفلاحة ظلت تعاني مشاكل و صعوبات عديدة أهمها الأساليب والآلات البدائية المستعملة في خدمة الأرض .

ـــ الصناعة:

أما بالنسبة للصناعة فتعتبر النشاط الثاني الذي يميز النشاط الاقتصادي في بايلك الغرب عامة و في مازونة خاصة حيث أنها كانت متواضعة لا تتعدى الصناعات المحلية اليدوية التي استمدت تقاليدها من الماضي و التي تعتمد في نشاطها على إرضاء متطلبات أسواق المدن و الأرياف ، و قد اشتهرت مازونة بصناعة الأقمشة حيث كانت هناك أجهزة نسيجية يمتلكها السكان لصناعة الألبسة و الأفرشة و الأغطية الصوفية و البرانس و الزرابي و ألحصيركما تخصصوا أكثر في صناعة الأواني الفخارية وامتهان الحدادة وصناعة الفضة ،

[1] هاجر مزوان : المؤسسة الديلية و الثقافية لبايلك الغرب 1871_1830 ، ص 10 .

[2] ـــDjilali sari : op cit p 40

[3] ـــ جنان الطاهر: مازونة عاصمة الظهرة ،ص 34-35.

يرجع جنان الطاهر الفضل في امتيـــاز الصناعة إلى بعض الأسر من الحضـــر و الأندلسييـــن في المحافـــظة على هاتـــه الصنـــاعات [1] .

إن أهم ما يميز النشاط الصناعي بالرغم من قلته هو التنظيم و الإتقان إذ يذكر ناصر الدين سعيد وني في هذا الصدد : ((وما ميز النشاط الصناعي إلى جانب تنوعه أنه كان يعرف الإتقان و التنظيم إذ كان على رأس كل حرفة أمين يعرف بأمين الصنعة التي يشرف عليها مثل أمين الخياطين ، و أمين الحدادين ...)) [2].

_ التجـــــــــارة:

فيما يخص التجارة فقد أشارت العديد من المصادر الجغرافية إلى وجود أسواق فنجد الإدريسي يقول : ((أن مدينة مازونة كبيرة و عامرة ذات سوق ... و لسوقها يوم معلوم يجتمع إليه أصناف من البربر بضروب من الفواكه و الألبان و السمن و العسل)) [3]، و قد كانت عملية التبادل البسيط تقتصر غالبا على المقايضة سواء التبادل بين الخضر

و الفواكه و الزيت بالحبوب أو تبادل المنتوجات الحرفية ، وفيما يخص سعر السلع كان معقول إذ يذكر ابن سحنون : ((وبلغ السعر مبلغا لم يسمع به أحد من الناس فإنه أعان الخلائق بالسلف و التصدق و الإطعام)) [4].

---

[1] ـــ هاجر مزوان : المؤسسة الدينية و الثقافية لبايلك الغرب 1871_1830 ص10 .

[2] ـــ ناصر الدين سعيد وني ـــ المهدي البوعبدلي : الجزائر في التاريخ في العهد العثماني ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984م ص 86

[3] ـــ الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ... ص 176 .

[4] ـــ ابن سحنون الراشيدي : الثغر ألجماني في ابتسام الثغر ألوهراني ، تحقيق المهدي البوعبدلي ، مطبعة البعث ، الجزائر1973 ص 135 _ 136

إضافة إلى أن مازونة تمر حولها طرق تجارية تربط الغرب و الشرق مما كان يؤهلها في الأخذ بحركة التبادلات التجارية و كان هذا الطريق يمر بغرارة و زمالة الحاج عند ملتقى وادي إرهيو[1] و هذا ما أشار إليه ناصر الدين سعيد وبي الذي ذكر انه على عهد الأتراك كانت هاته الطرق صالحة لاستعمال القوافـــل و العـــربات البـــسيطة [2] .

ج ــ الجانب الثقافي الفكري :

كان للظروف السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية تأثير بدون شك على الجانب الثقافي ، فالسياسة العثمانية بالجزائر ركزت على حفظ الأمن و حماية الحدود و جباية الضرائب فبذلك لم يسمح لها اهتمامها بالجانب السياسي و العسكري بأن توفي الجانب الثقافي حقه و لعل ذلك يعود إلى ظروف العصر التي وجدت فيها الدولة مما حتم عليها تركيز اهتمامها على الجانب العسكري [3] ، لذلك نجد أن بايلك الغرب على الخصوص اتسم قبل تولي محمد الكبير الحكم بالتدهور و الجمود و التحجر و انصراف السكان نحو التجارة بصفة خاصة ، والاقتصاد بصفة عامة ، إضافة إلى أن التعليم لم يكن مفتوحا للعامة من الناس بل كان مقتصرا على الخاصة لأنه يتطلب نفقات باهضة ليست في متناول كل من يرغب في التعليم أو الدراسة بل كانت القلة فقط هي التي تحتكر هذا الجانب و تتميز به دون غيرهم[4] .

إلا أن هذا لا يجعلنا نسلم أن المجتمع الجزائري عامة كان يخلو من الاهتمام بالجانب الثقافي أو كان يتخبط في دائرة الأمية ، بل على العكس كان هذا موقوفا على الخاصة فالعناية بالمساجد كانت ظاهرة مميزة في

---

[1] ــ الطاهر جنان : مازونة عاصمة الظهرة، ص 34 .

[2] ــ ناصر الدين سعيد وبي: دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة و المعاصرة ،ص 86

[3] ــ عبد المجيد مزيان : الأنظمة الثقافية في الجزائر قبل الاستعمار ، مجلة الثقافة العدد9 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع 1983 ص39 .

[4] ــ أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي(1500_1830) ج1 دار الغرب الإسلامي لبنان ط1 1998 ص 13

المجتمع الجزائري فلا يوجد مسجد بلا مدرسة ، و لا زاوية تخلو من مدرسة أو مسجد وبذلك يكون المجتمع الجزائري هو الذي حمل لواء نشر التعليم لتأثره بعوامل ساعدت غلى تحسين الأوضاع الثقافية و في مقدمتها :

ـــ هجرة الأندلسيون الذين كانوا يختلفون من حيث المستوى الفكري و المادي عن سكان المغرب ، فقد انتشرت معالم الحضارة الأندلسية خاصة في ميدان التعليم من قواعد و لغة وأدب و علوم فطوروا طرق التدريس بان أضافوا طريقة لحفظ القران الكريم لدى الأطفال [1].

ـــ هجرة الجامعات الأوربية أي احتكاك المغاربة بالأوربيين .

ـــ رغبة العثمانيين توسيع شبكة التعليم بإنشاء المدارس و ذلك رغبة منهم في محاربة الطرقية و شغب المرابطين الذين أحرجوا الدولة في الكثير من الأحيان والظاهر أن

العثمانيين رأوا في نشر العلم ردعا للمرابطين لأنه بالعلم تتفتح العقول و يبتعد الناس عن الانغماس في التصوف و ينقص عدد المرابطين [2] ، وفيـــما يخص مازونة ذكر الأستاذ جنان الطاهرأن أهلها ((اعتنوا كغيرهم بالعلوم الدينية ومختلف فروعها حيث كان الفقـــــه أســـاســـها و لقـــــد جرى الاعتناء به و العمل على الإفتاء بالمسائل اليومية [3]، كما زاد الاهتمام بحفظ القرآن و الأحاديث و البحث في مسائل أصول الفقه و اهتموا بالتفسير و حفظـــــه و بعض علوم القرآن و في مقدمتها القراءات وبرزت تأليف متعددة حول مناقب أولياء الله و كتب التدريب على القضاء وآداب المسافر منذ ق 15 م))[4] و هنا يريد الأستاذ جنان إن يبرز الطابع

[1] ـــ حميد عمراوي : حمدان خوجة حياته و أثاره ، مجلة الثقافة ع 90 الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1985 ص 102_103 .

[2] ـــ المرجع السابق، الصفحة نفسها .

[3] ـــ جنان الطاهر : مازونة عاصمة الظهرة ص 43 .

[4] ـــ المرجع نفسه ،الصفحة نفسها .

الثقافي للمنطقة من خلال محاولة إلفات النظر إلى اهتمام المازونيين المتنوع بالحياة العلمية والثقافية من خلال التركيز على القرآن وما يتعلق به ثم بعده المسائل الفقـــهيـــــــــة

و الأصولية.

وقد عبر أبو راس الناصري عن ذلك بقوله : ((وجدت أولئك الشيوخ بعضهم مشهور بمعرفة الأول أي الجزء الأول من مختصر خليل ، والبعض الآخر بمعرفة الثاني

و البعض مقصور على الفرائض لا يتعداها و لا يعرف سواها إلا أن المقصور عليها هو حجة فيها))[1] .

كان لمدينة مازونة الحظ في الاستفادة من نزوح الأندلسيين والأخذ عنهم وذلك بعد دخولهم المنطقة و تأثيرهم الفكري على المجتمع المحلي بصفة خاصة و احتكار هم ميدان التعليم ناقلين طريقتهم الخاصة في ذلك وفي هذا يذكر مولاي بلحميسي قائلا : ((حيث جاء ق 16 م و عرف المغرب الأوسط تحولات.سياسية هامة ، وهي بداية النزوح لأهل الأندلس و كثرة الغارات الإسبانية على السواحل الجزائرية ومنها أيضا قدوم الأتراك ، فاختيرت مازونة عاصمة لبايلك الغرب و سكنها عناصر أندلسية فزادها ذلك من إشعاعها الحضاري و الثقافي))[2].

بالرغم من العقبات التي واجهت الحياة الثقافية عامة إلا أن مازونة ظلت تتصدر مدن الغرب الجزائري إلى جانب ندرومة و تلمسان في منافستها على التدريس و الفتوى و ظلت محافظة على إشعاعها

[1] ـــ محمد أبو راس الناصري: فتح الإله و منته في التحدث بفضل ربي و نعمته ، حققه و ضبطه و علق عليه محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المؤسسة الوطنية للكتاب 1990 ص 43 .

[2] ـــ مولاي بلحميسي : دور مازونة في الحركة العلمية و الثقافية من ق 15 إلى منتصف ق الحالي ، ص 6 .

العلمي ووجودها الثقافي وغدت قبلة للعلم و قطبا جذابا للطلبة و العلماء من خلال توافد الطلبة عليها من كل قطب وحدب ك تلمسان و معسكر و ندرومة و مستغانم[1].

وقد نبغ في ق 15 م بمازونة عالمان جليلان ساهما في شهرة البلدة وازدهار مدارسها و مكتباتها فالأول : أبو عمران موسى بن عيسى المغيلي المازوني وهو كما وصفه الحفناوي في كتابه ((عالم جليل وعامل أصيل تمكن من السنة حتى لم يدع للبدعة مدخلا إلى سده فهو في الدين طود شامخ ذو مجد باذخ على أولياء الله مناضل))[2]، أما الثاني فهو : أبو زكريا يحي بن أبي عمران المازوني وقد قال عنه التادلي : ((آية من آيات الله في العلم ، محدث ، فقيه و حافظ و محقق و قدرة عالية في معرفة علم الحديث)) وقال عنه الشيوخ الفضلاء انه يحفظ 2700 حديث[3] ، وقد اشتهر المازوني بمؤلف الـــذرر المكـــنـــونة في نـــوازل مـــازونة .

جاء القرن السادس عشر ميلادي و أسس احد النازحين الأندلسيين و هو محمد بن الشارف مدرسة فقهية اشتدت إليها الرحال من كل الجهات مما زاد في إشعاع المنطقة وهذا ما جعل أبو القاسم سعد الله يقول عنها : ((لقد مثلت مدرسة مازونة الفقهية في العهد العثماني حيزا للتعليم العالي وذلك بالنظر إلى العلوم الدينية و اللغوية التي كانت تلقن بها)) ، وفي القرن الثامن عشر ميلادي راجت أخبار مازونة و نشاطها العلمي ، فتوافدت عليها جموع من المتعلمين أمثال الشيخ أبو راس ألمعسكري و عبد الرزاق بن حماد وش[4]

[1] ـــ أبو القاسم محمد الحفناوي : تعريف الخلف برجال السلف ، مؤسسة الرسالة المكتبة العتيقة تونس 1985 ص 563 الى 586 بـــ تصرف

[2] ـــ سعيد وني و البوعبدلي: الجزائر في التاريخ في العهد العثماني ، ص 192 .

[3] ـــ ابن الزيات التادلي : التشوف في معرفة رجال التصوف ، تحقيق أحمد المدني مطبعة النجاح الجديدة المغرب1984 ص 240

[4] ـــ أبو راس الناصري : فتح الإله ومنته في التحدث ...، ص 43 .

والشيخ بالقندوزالمستغانمي ومحمد علي السنوسي ألمجاهري ، وخلال هذا العهد كان التعليم مجانا وكان المشرفون عليه أصحاب تخصص [1] .

هكذا استطاعت مازونة بفضل علمائها و فقهائها و مراكزها التعليمية من أن تثبت رصيدها الثقافي على مستوى بايلك الغرب الذي غدي زادا يرتع منه المجتمع روحيا و عقليا ، و ما يميز التعليم أكثر بالمنطقة هو الطابع الذي يعتمد على حلقات الدروس كمنبع وحيد ينهل منه الطلاب و قد انحصر التعليم في علوم الدين و علوم العربية و الاعتناء بالفروع الفقهية أما طريقة التلقين فكانت تعتمد على الإلقاء و الشرح و الحفظ و استظهار المتون نظما و شعرا مع استخدام الوسائل التقليدية في التعليم ، تبعا للنمط التعليمي المنتهج [2] .

وفي نهاية العهد العثماني انتشرت الدروشة و الخرافات و افتتح عهد التصوف العلمي و ظهرت الزوايا وعقيدة التصوف مما أدى إلى وجود منافسة بين المرابط و الشيخ و العالم و هنا انتشر التعليم ليشمل الزوايا ولو بواقع خاص بعدما كان مقصورا على المساجد و المدارس فقط و ذلك تماشيا مع اعتبار الزاوية كمركز للطريقة الصوفية ومن بين الزوايا التي وجدت بمدينة مازونة الزاوية السنوسية التي تواجد مركزها في أبي علوفة[3] . والزاوية التيجانية و القادرية و هاته الزوايا تابعة للطرق الصوفية التي انتشرت في ذلك العهد ، إضافة إلى الزاوية الجيلانية و زاوية سيدي علي بلحس .

[1] ــ المرجع نفسه ص 44 .

[2] يوسف بوكفة : مدرسة مازونة الفقهية الوجود و الاستمرار ، رسالة ماجستير في علم الاجتماع قسم التاريخ المركز الجامعي بمعسكر 2004 ص 9 .

[3] ــ المرجع السابق ،ص 10 .

فالبرغم من الحوادث التي مرت مازونة و التي هزت استقرارها في العديد من المرات إلا أنها بقيت قبلة للعلم و بلد العلماء و مقصد الطلبة و بقيت ملحمة الفقه المالكي التي انتعشت و ترعرعت قرونا و أنجبت العديد من العلماء في ذاكرة الناس ، كما لاننسى أن مازونة في الجانب الثقافي برزت أكثر فأكثر و هذا من خلال المدرسة الفقهية التي هي المعلم الشاهد على تاريخ المنطقة الثقافي في الفترة العثمانية ، هذا المعلم الذي لا يزال يفتخر به المازونيون نظرا للدور الفعال الذي لعبه في نشر العلم داخل البلاد و خارجها و يعود ميلاده إلى العهد العثماني لكن قبل الحديث عن الدور الذي لعبته هذه المدرسة إثراء الرصيد الثقافي لذى الناس فإننا نقف قبل ذلك عند الظروف التي ساعدت على إيجاد هذه المدرسة الفقهية و التي هي كالتالي :

_ الظروف الداخلية:

ـــ ازدهار الدروشة و التصوف و اتساع دائرة الأمية كنتائج حتمية للصراعات الداخلية حول امتلاك السلطة التي أدت إلى تدهور اقتصادي و اجتماعي مما أثر سلبا على الجانب الثقافي [1].

ـــ دخول المهاجرين الأندلسيين مدينة مازونة ، هذا ما أعطى دافعا قويا للحركة العلمية حيث استفادت من ثقافتهم و أدبهم وطريقتهم في التعليم إضافة إلى علاقتهم القديمة مع المراكز الثقافية و العلمية الموجودة على مستوى البلاد [2].

_ الظروف الخارجية :

ـــ كثرة التحرشات الإسبانية على بعض المدن الجزائرية خاصة مدن الغرب مما أدى إلى استنجاد البلاد بالدولة العثمانية ، هاته الأخيرة اعتمدت على الشعب الجزائري و فتحت له أبواب المشاركة في تحرير

[1] ـــ سيار الجميل : تكوين العرب الحديث ، دار الشروق للنشر و التوزيع الأردن ط1 1997 ص 356

[2] ـــ محمد عابد الجابري : التراث و الحداثة دراسات و مناقشات ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ط1 1991 ص 176.

بلاده و كان لمازونة الحظ في نيل شرف المشاركة في الدفاع عن أرض أجدادها ، من خلال مشاركة الشيخ محمد بن الشارف المازوني و ابنه السيد هني إلى جانب 600 طالب في صد الهجومات الإسبانية على وهران [1] ثم مشاركته إلى جانب جيش مستغانم و القلعة و كافة الأعراش في الهجوم على الإسبان [2] و اعترافا وشكرا على المجهودات التي قدمتها مازونة قامت السلطات التركية ببناء مدرسة لتعليم الفقه [3]، وهذا ما يبين لنا أن مدينة مازونة أصبحت في احتكاك مباشر مع فئات متعلمة مما مهد إلى حياة ثقافية أرقى وفي هذا الصدد يركز الأستاذ بوكفة يوسف على الدور الفعال الذي لعبه المهاجرون الأندلسيون في إشعاع الحركة العلمية الثقافية داخل البلاد ، فبدخولهم أعطوا دافعا قويا للحركة العلمية فاستفاد بذلك الأهالي من ثقافتهم و أدبهم و طريقتهم في التعليم ، وقد تجسدت هذه الاستفادة أكثر من خلال محاولات محمد ابن الشارف وهو أحد النازحين الأندلسيين [4] والتي استهلها باعتماد مختصر خليل محورا للعملية التعليمية وقد استطاع بهذا التجديد المعرفي الثقافي التعليمي من أن يشكل قاعدة اجتماعية كبيرة .

فقد اتضح أن محمد ابن الشارف كان شغوفا بالعلم حريصا على أن يعلمه لأهل بلدته لذلك حاول جاهدا لإيجاد مكان يدرس فيه العلم للطلبة فقام بشراء قطعة أرض و شرع في تأسيس مدرسة صغيرة ، وساعده في ذلك أبناء المدينة الذين شكلوا فيما بعد الدفعة الأولى لعملية التدريس [5] .

هذا ما وضحه جنان الطاهر في قوله : ((....أما المسجد العتيق الذي مازال يسميه عامة الناس بالمدرسة لاشتماله على المدرسة الفقهية القديمة حيث أسس سيدي أحمد بن الشارف هاته المدرسة عام

---

[1] ــ مولاي بلحميسي : مازونة مقصد الدارسين ... ص 18 .

[2] ــ جنان الطاهر : مازونة عاصمة الظهرة ص 21 .

[3] ــ المرجع نفسه ص 93 .

[4] يوسف بوكفة : مدرسة مازونة الفقهية ... ص 19 .

[5] ــ المرجع نفسه الصفحة نفسها .

1029 هـ و درس بها 64 سنة إلى أن توفي عام 1164 هـ و خلفه في التدريس نجله من أب إلى ابن ...))[1] ، وهكذا أصبحت هذه المدرسة تلعب دورا رئيسيا في المحافظة على الثقافة العربية الإسلامية لا على الصعيد المحلي فحسب بل تعدته إلى نطاق أوسع وأصبحت تشد إليها الرحال من كل فج عميق فتوافد عليها الطلبة من تلمسان ووهران و ندرومة و مستغانم [2] .

ومن بين الطلاب الذين تتلمدوا على يد علماء مازونة نجد أبو راس الناصري الذي أفادنا بكثير من شهاداته الحية فيقول عن سماعه لأخبار مازونة بلد العلم : ((ولما ذكر لي الطلبة مازونة وكثرة مجالسها ونجابة طلبتها و قريحة أشياخها سافـــرت إليها)) [3]

كما أنه تعجب من حب أهل مازونة للعلم وشغفهم به من خلال قوله : ((كان الشيخ يجلس و الطلبة حوله على الحصائر و الزرابي و الحلفة كخلية النحل وفي النهاية يفتح باب التوضيـــح و التفســـير للإثراء)) [4]، كما عرفنا الناصري ببعض العلماء الفحول في قوله : ((.... فجلست في حلقة العالم الكبير والفقيه الشهير شيخنا ابن علي بن الشيخ أبي عبدا لله المغيلي و الطلبة على بابه مقبلة كأنه عبد الحميد ..... و منهم الشيخ العربي بن نافلة ...و من أشياخي أيضا و أكثرهم حفظا و أتقنهم للمصنف معنى و لفظا شيخنا محمد الصادق بن أفغول ...)) [5].

---

[1] ـــ جنان الطاهر: مازونة عاصمة الظهرة ، ص 93 .

[2] ـــ مولاي بلحميسي : دور مازونة في الحركة العلمية ، ص 14 .

[3] ـــ مولاي بلحميسي : مازونة مقصد الدارسين ... ص 5 .

[4] ـــ ابوراس الناصري : فتح الإله و منته في التحدث.... ص 43 .

[5] ـــ المرجع السابق ،ص 46- 47 .

إضافة إلى كثرة علمائها تميزت المدرسة بمجانية التعليم ، لأنه لم يكن ينتظر منه كسب أو نفع ، إلا أن المشايخ كان لهم مدخول يعشون به يجعلهم بمنئ عن الحاجة هذا من جهة.

و من جهة اخرى فقد كان لجود أهل مازونة و كرمهم دور فعال في دفع الطلبة إلى مواصلة حياتهم العلمية بالرغم من الحياة المعيشية القاسية ، كما امتازت هذه المدرسة أيضا بإمتزاج التعليم بين علوم دينية وعلوم لغوية ، فأما العلوم الدينية فكان يدرس فيها الفقه المالكي اعتمادا على مصنف خليل لذلك لقب شيوخ المدرسة وطلبتها الخليليون[1].

إضافة إلى الفقه المالكي اعتمد الشيوخ على صحيح البخاري و مسلم و موطأ [2]، أما بالنسبة للعلوم اللغوية فقد اعتمدوا في مقدمتها على النحو العربي فقد أولى المشايخ اهتماما أوفر لهذا الأخير منذ التأسيس كونه منطق اللغة العربية و أساس قيامها ، كما يمثل قاعدة ضبط وفهم ألفاظها .

وهكذا تمكنت قلعة التعليم و التعبد و الحياة الروحية من أن تحافظ على لقبها و شهرتها و مكوناتها طيلة قرون عديدة لولا تغير الظروف السياسية التي صارت في الاتجاه المعاكس لها مما أثر سلبا على وجودها ووقف حاجزا أمام امتدادها فبزوال الحكم العثماني ذب الاضطراب و التغير و غدت مازونة بلدة ضعيفة أمام الأزمات التي افتعلها الحضر و الكراغلة مما أثر سلبا على الحياة الثقافية و المدرسة بصفة خاصة .

[1] ــ سعيدوني و البوعبدلي : الجزائر في التاريخ ....، ص 196 .

[2] ــ أبو راس الناصري :المرجع السابق، ص 151.

ومما لا يخفى علينا أنه لم تكن المدرسة الفقهية وحدها من كانت تساعد على نشر العلم بل ساندها في ذلك المساجد و الزوايا التي كانت مؤسسة دينية لتعليم و تحفيظ القرآن الكريم ، فقد تعددت وظائفها الدينية و الاجتماعية و التعليمية و كان لها الدور الكبير في الوعظ و الإرشاد .

الفصل الثالث:

مظاهر الحضارة العثمانية في البناء المعماري بمازونة

مظاهرا لبناء المعماري العثماني في مدينة مازونة :

تمثل البناء المعماري العثماني لمدينة مازونة في عدة مظاهر أهمها :

ـــ البيوت و الأحياء :

ذكر الرحالة الألماني "هاينريش" أن مازونة مدينة تأخذ الطبع العربي بدون هندسة معمارية أروبية التي قد تغير من شكل بناء المنزل ، وان أشكال البناء في أحياء المدينة بسيطة جدا وفقيرة إدا ما قورنت بأحياء مدينة الجزائر، فكانت المنازل ذات طابق واحد بها قرميد يعطي منظرا جميلا[1]، وكان هذا خلال سنة 1852م وما زال اليوم بمازونة أحياء وبيوت قديمة وأزقة ضيقة تشبه قصبة مدينة الجزائر، ومن الأحياء القديمة نجد حي أبو علوفة وحي القصبة و حي أبو ماتع[2] وهنا يؤكد ها ينريش على تواجد هاته الأحياء في العهد العثماني ، كما يؤكد على أن الحسن ابن خير الدين بعد توليه إدارة شؤون بايلك الغرب واختياره مازونة عاصمة لـــه ، قام بتأسيس حي النوبة بصفته مستقر البايات وقادة الجهة ، وأسكن الكراغلة والأتراك حي القصبة وفي جزء من حي أبو ماتع[3] .

---

[1]ـــ جنان الطاهر : مازونة عاصمة الظهرة ، ص 97 .

[2]ـــ المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

[3]ـــ جمال قنان: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500ـــ 1830)، ص 222 .

ـــ الأسوار والأبواب:

فعن أسوار وأبواب مدينة مازونة تذكر المصادر الجغرافية القديمة أن للمدينة أسوار وأبواب وقد ورد ذلك في أخبار الرحلات ومنها يذكر الإدريسي (...وهي مدينة ذات سور...)[1] ، كما ذكر هاينريش أنه عند قدومه من مدينة شلف إلى مازونة أنه دخل من بوابة الجنوب [2] .

لقد ذكرت لنا بعض الروايات الشفوية وجود محكمة بالمنطقة التي بها ساحة الشهداء حاليا بحي تايسارت ، فقد أشارت إلى أن الأتراك هم من أوجدوها إضافة إلى الدكاكين التي توجد بحي القصبة .

إن أهم عمارة برزت في العصر العثماني بمازونة هي عمارة المساجد والمدارس ، ولعل أهمها مسجد سيدي أمحمد بن الشارف ومدرسته الفقهية التي مثلت طيلة العهد العثماني منارة ينهل منها الطلبة والعلماء، من خلال إسهامهم في تغذية العقول بالعديد من الشذرات الأدبية والعلمية التي تنوعت بين الفقه والتفسير والحديث .

قبل الحديث عن البناء المعماري للمدرسة الفقهية والمسجد، دعونا نوضح بعض المحطات في رحلة قطارها التاريخ، وأول رحلة نبدأ بها هي:

[1] ـــ الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، ص 142 .

[2] ـــ جنان الطاهر : مازونة عاصمة الظهرة ، ص98 .

أـــ المدرسة الفقهية:

1ـــ لمحة عن المدرسة:

حسب قول المقريزي فإن أصل المدرسة إصلاحي ،وقبل ظهورها كان التعليم مقتصرا على المساجد فقط ، فجاءت المدرسة لإعطاء دفع للحركة العلمية والثقافية ،والتي هي في الأصل عبارة عن مؤسسة تعليمية ،تشرف عليها الدولة وتتولى أعباء مصاريف الطلبة الوافدين إليها .

كما تعرف المدرسة بأنها مشتقة من الدرس ،وأنها من أجل ذلك تكسب طلابها حق الأولوية في تعويض الأوقاف دون الأساتذة، أما قاعات الصلاة التي ألحقت بها ،فدفعا لوصف الفندقية عنها بدليل عدم بناء المآذن بجل المدارس[1] .

ويبدو أن ظهور المدرسة في تلك الفترة شكل ضرورة وتعبيرا عن صور الإزدهاروالرقي، والنقلة النوعية في الحياة العلمية والأدبية والثقافية عامة عند العرب والمسلمين فأصبح المسجد قاصرا عن الوفاء بمتطلبات الحياة العلمية الجديدة القائمة على تفرع العلوم وتشعبها،كونه مؤسسة مفتوحة على عامة الناس ودروسه تقف عند المواعظ وتلقين الحديث [2].

[1]ـــ عبد الهادي التازي : جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس ، دار الكتاب اللبناني مج2،ط1، 1973 ص361 .

[2]ـــ ميلود ميسوم : مدرسة مازونة دراسة تاريخية فنية ص 38 .

2ـــ تعريف المدرسة الفقهية:

هي مدرسة فقهية متخصصة في العلوم الدينية وأصولها ،تفسير القرآن والحديث وغيرها ، حيث شهد لهذه المدرسة بتخريج علماء مقتدرين في تخصصات دينية تأسست على يد الشيخ محمد بن الشارف سنة 1029 هـــ حيث درس بها 64 سنة إلى أن توفي سنة 1164هـــ [1].

3ـــ نشأة وتطور مدرسة مازونة:

لعبت مازونة دورا رياديا في مجال العلم والفكر والثقافة ، حتى أصبحت قبلة يحج إليها طلبة العلم من كل حدب وصوب طيلة العهد العثماني، وكان لمدرستها الفضل في هذا الصيت الواسع ، والسمعة الطيبة .

تعتبر مدرسة مازونة رمزا حضاريا ومعلما ثقافيا للجزائر طيلة قرون عدة من الزمن تناولتها المصادر بإسهاب ، ثم المؤرخون المعاصرون بانتاجات جمة إذ كانت تقارن أيامها حسب بعضهم بالمعاهد العليا بفاس وتونس ومصر،لما كانت تتوفر عليه من أساتذة وعلماء ذاع صيتهم عنان السماء وفي هذا الصدد يقول (... وهناك مدن أخرى في غرب البلاد كان وضعها غير مستقر أيضا ،ولكن حظها من التعليم كان افضل من حظ وهران...وكانت مدرسة مازونة مقصد العديد من الطلاب....)[2]وحول تاريخ تأسيسها ،أسال جمع من المؤرخين

[1] ـــMoulay Belhamissi : op cit p 49 .

[2] ـــ أبو القاسم سعد الله : بعض التحولات في مسيرة التعليم بالجزائر خلال العهد العثماني (1518ـــ1830) ص 13

و الباحثين الكثير من الحبر ملأت إنتاجاتهم رفوف المكتبات ، فنجد أبا القاسم سعد الله يصف ذلك بقوله (.... لم تكن للجزائر العثمانية مدرسة مستقلة للتعليم المحض....بإنشاء مدارس تلمسان التي تعود إلى العهد الزياني وكذلك مدرسة مازونة التي تأسست حوالي ق 10هـ/ 16م)[1] ، أما المهدي البوعبدلي يرجع الرأي الأول القاضي بتأسيس مدرسة الشيخ مصطفى بن المختار الراشيدي التي تخرج منها حفيده الأمير عبد القادر والتي تعد مركزا علميا وثقافيا بحق وأصبحت تسمى بمعهد القيطنة[2] أي أن المدرسة تأسست حوالي سنة 1000هـ /1590م من طرف الشيخ محمد بن الشارف سليل عبد العزيزالبلداوي،ويؤيد ذلك العيد مسعود[3].وجل المؤرخين المحدثين .

وهناك موقف ثان ،يرى أن تأسيس المدرسة يرجع إلى ما قبل التواجد العثماني بالجزائر، ويتضح ذلك جليا عند عبد المجيد مزيان حيث يربط مدرسة مازونة بمدرستي العباد والتاشفينية بتلمسان ويضعهم في نفس النهج في قوله : (....ونذكر بأن أشهر المدارس التي تبنتها الدولة ، كانت التاشفينية ومدرسة العباد....مدرسة مازونة وهي نموذج مصغر لمدارس تلمسان)[4] .

واستنادا إلى الرأيين السابقين ومن خلال الأوضاع العامة في الفترة العثمانية ، نرجح الرأي القائل بتأسيسها خلال القرنين العاشر والحادي عشر هجري الموافق للسادس عشر ميلادي وذلك لأسباب عدة أهمها :

---

[1] ــ ابو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي (1500ــ1830) ص 280

[2] ــ ناصرالدين سعيدوني ــ المهدي البوعبدلي :الجزائر في التاريخ في العهد العثماني، ص 228 .

[3] ــ المرجع نفسه ص 196 .

[4] ــ عبد المجيد مزيان : المؤسسات الثقافية في الجزائر قبل الإستعمار ، ص 14

1ـــ غياب الأدلة القاطعة بوجود مدرسة بمازونة أيام العهد الزياني في المصادر التي تناولت الفترة كـــكـــتاب العبر لابن خلدون ووصف إفريقيا للـــوزان و نزهة المشتاق للإدريسي.....الخ.

2 ـــ حالة الاضطراب وغياب الاستقرار التي عرفتها مازونة أيام الزيانيين بسبب مواقف حكامها إزاء دولة بني زيان الذين كانوا يعلنون ولاءهم تارة ويكسرون عنها الطاعة تارة أخرى ، وهذا ما أدى إلى عدم الاستقرار الذي نجم عنه هجرة العلماء والمشايخ من زواياهم وجوامعهم إلى حواضر أخرى .

3 ـــ دخول الجزائر تحت سلطة آل عثمان ، تولد عنه اختيار مازونة كعاصمة للبايلك الغربي منذ 1565م والذي استمر حتى مستهل القرن 18م وحكمها عدة بايات [1] .

كان لهذه المكانة السياسية لمدينة مازونة وقعها العلمي و الثقافي ، فشيدت فيها مدرسة من طرف الشيخ محمد بن الشارف ، وأصبحت قبلة لطلبة العلم من شتى البقاع والأصقاع .

4 ـــ تأكيد جل المؤرخين الجزائريين ، ومنهم ابو القاسم سعد الله في أكثر من كتاب على ذلك ، كقوله : (....وقد بنى أحد المهاجرين الأندلسيين مدرسة مازونة المشهورة التي تخرج منها

[1] ـــ ميلود ميسوم : مدرسة مازونة.... ، ص61

عدد من الفقهاء خلال العهد العثماني ، وهو محمد بن الشارف ، وظلت هذه المدرسة محافظة على سمعتها حتى بعد إنتقال كرسي الحكم من مازونة إلى معسكر)[1].

4 ــ ظروف تأسيس المدرسة :

يعود تاريخ تأسيس المدرسة إلى مطلع القرن السادس عشر ميلادي ، على يد الشيخ محمد بن الشارف الأندلسي ، حيث كان لهجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب ومنها الجزائر وقعها الخاص على المنطقة وفي شتى المجالات منها السياسية والاقتصادية والثقافية ، إذ إحتكروا ميدان التعليم في الحواضر ، ونقلوا مناهجهم التعليمية إليها ، ومن ذلك عدم الاقتصار في التعليم علي حفظ القران بل اضافوا اليه تعليم الحديث و القواعد العامة لمختلف العلوم و تدارس بعضها ،كما علموا روايات القرآن و أنواع قراءاته[2]

كانت السلطة تعين للمدارس كبارالعلماء الأندلسيين و غيرهم ،و تجري عليهم المرتبات تشجيعا منها لدفع عجلة التعليم إلي اللأمام ، و من بين حواضر الجزائر في العهد العثماني مازونة التي شهدت أيامها عزا لم تشهده قبل ولا بعد بوصفها عاصمة للعثمانيين في المنطقة ،و امتلاكها لمدرسة بلغ صيتها عنان السماء بعدما أسسها بعض اللأندلسيين بغية نشر العلم و الدين[3]

---

[1] ــ أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ص 183 .

[2] ــ المرجع نفسه ... ص47.

3ــ أبو القاسم سعد الله : بعض التحولات في مسيرة التعليم بالجزائر ، ص 13

حيث تذكرالروايات أن الشيخ محمد بن الشارف الأندلسي ،كان يملك قطعة أرض خارج المدينة مساحتها تقدر ب:20هكتار ،اشتغل فيها طيلة تواجده في المنطقة ،و بقيت تشكل مصدر عيشه ،حتى رأي ضرورة وجود مركز للعلم و التعليم يتماشي و متطلبات العصر نظرا لوجود زوايا و مساجد لم تنل طرائق تعليمها رضي الشيخ الأندلسي ،فاضطر إلي بيع القطعة بثمن قدره ثلاثين دورو.

كخطوة أولى لتقع عيناه علي رقعة متوسطة الحجم داخل المدينة مقسمة إلي ثلاثة أجزاء مما يعني أنها كانت لثلاثة أشخاص مختلفين ،فقرر شرائها و ســـأل عن أصحابها فوجدهن نساء فاشتراها منهن مقابل ثلاثة دورو لكل جزء أي بمجموع تسعة دورو ،ثم قام بتسوية القطعة و تهيئتها،لبناء مدرسة مهمتها تلقين العلم و الفقه لكن بعد معرفة النسوة الثلاث بنوايا الشيخ سعين لإهدائها إياه فرفض ذلك و حرص علي دفع ثمن القطعة لأصحابها و من حينها انطلقت الأشغال في بناء مدرسة و مسجد ،و ساهمت في ذلك الدفعة الأولي من الطلبة التي كان يقدر عددها بنحو عشرين طالبا، تكفلوا ينقل الديس و الخشب من الغابات المجاورة علي ظهر الحمير و البغال [1]

كان تأسيس المدرسة في بدايتها بشكل بسيط و بأدوات و مواد تقليدية ،تمثلت في الطين، الديس ،الخشب و الحجارة ...الخ لكن يبدو أن السلطات تكلفت بأمرها فيما بعد و عملت علي

[1] ـــ ميلود ميسوم :مدرسة مازونة دراسة تاريخية فنية ، ص64

إعادة بنائها و توسيعها وفق المكانة السياسية التي أصبحت تحتلها مازونة منذ 1565إل غاية 1700م،من خلال الطراز المعماري للمدرسة يتضح جليا التأثير العثماني خاصة في القباب [1]

تطور مدرسة مازونة في العهد العثماني:

كان القرن السادس عشر نقطة تحول كبيرة في الحياة العامة لبلاد المغرب الإسلامي منذ قدوم العثمانيين و تأسيسهم لدولة عاصمتها الجزائر في حين اشتد الصراع بين المسلمين و المسيحيين برا و بحرا وهنا شرع العثمانيون في تنظيم البلاد فاختاروا مازونة أول متر لبايلك الغرب قبل معسكر و وهران،فزاد بذلك الاختيار إشعاع البلدة سياسيا و ثقافيا حيث امتازت الجزائر بظهور مدرسة فقهية في نهاية القرن السادس عشر نالت شهرة كبيرة و التحق بها الطلاب من شتى البقاع و كان لمؤسسها محمد بن الشارف الأندلسي الفضل في اختيار مازونة موقعا لها و ذكر المهدي البوعبدلي أن مدرسة مازونة شهدت رقيا علميا طيلة الفترة العثمانية فكان إقبال طلبة العلم عليها كبيرا خاصة في عهد أبي راس الناصري [2]الذي عايش الفترة الأخيرة من الحكم العثماني بالجزائر فأقام بمازونة ثلاث سنوات طالبا للعلم ثم معلما[3]

[1] ـــ يحي بوعزيز:مدن تاريخية ـــوهران ـــط1 المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر 1985 ص 76

[2] ـــ أبو راس الناصري:أديب و مؤرخ جزائري من مدينة معسكر، ولد حوالي 1165ه أختلف في وفاته ما بين 1233و 1238

[3] ـــ ناصر الدين سعيد وني :المهدي البوعبدلي ـــمرجع سابق ص 195

و تذكر بعض المراجع أن المدرسة استمرت في مهامها المعرفية حتى بعد انتقال العاصمة الإقليمية من مازونة إلي معسكر ثم وهران و كانت مقصدا لطلاب النواحي الغربية و لا سيما ندرومة ،مستغانم ،تنس ،تلمسان ووهران[1]

يبدو أن شهرة المدرسة بلغت مدي بعيدا لتصل إلي المغرب الأقصى فالتحق بها الطلاب و خاصة من إقليم الريف و من مدينة فاس بالتحديد ،و استمر هذا التوافد طيلة الخمس سنة التي عاشتها المدرسة[2]

نظرا للمكانة العلمية التي كانت تحظي بها المدرسة فقد كان يقصدها فقط المتفوقون عن أقرانهم في زوايا و مدارس بلدانهم، كما هو الشأن عند أبو راس الناصري و محمد بن علي السنوسي[3]

الذي تعتبر حركته التي انطلقت من المدرسة من أهم الحركات في بلاد المغرب و إفريقيا جنوب الصحراء و يري جيلالي صاري أن مدرسة البايلك الغربي ظلت تحتل مكانة هامة ووحيدة في الغرب الجزائري ،إذ كانت موقعا ساميا للثقافة و العدل طيلة ثلاثة قرون من الزمن ،و لعبت دورين أساسيين في المنطقة و هما:

دور ديني :يتمثل في العبادة وفق المنهج السليم علي مذهب الإمام مالك

---

[1] ـــ أ بو القاسم سعد الله :تاريخ الجزائر الثقافي ـــمرجع سابق ص 285

[2] ـــ ناصر الدين سعيدوني : المهدي البوعبدلي مرجع سبق ذكره ، ص91

[3] ـــمحمد بن علي السنوسي:ولد سنة 1202ه/1706م بمنطقة الواسطة بمستغانم و توفي سنة 1286ه/1791م درس بمازونة علي يد الشيخ أبي طالب و حفيده أحمد حيث أصبح له أتباع يسيرون علي نهجه.

دور ثقافي :يتمثل في تعليم اللغة العربية ،و تحفيظ القرآن و إلقاء المحاضرات من قبل العلماء[1]

لم تكتف مدرسة مازونة في العهد العثماني بالجانب العلمي و الثقافي الذي ساهمت من خلاله في بعث الحركة العلمية في المنطقة التي كادت تندثر،بل تعدت ذاك و ساهمت قي الدفاع عن الوطن و إعلان الحرب علي الأسبان في المرسي الكبير بوهران ،في إطار حملة منظمة قادها شيوخ و طلبة الزوايا و المدارس فانطلق من مازونة الشيخ أبو طالب و ابنه سيدي هني رفقة عشرين طالبا،فرابطوا أمام وهران و خاضوا معارك ضارية ضد الأسبان[2]

كلفتهم فقدان العديد من الطلبة و المشايخ و لعل أبرزهم :سيدي هني نجل الشيخ أبي طالب الذي استشهد في قلب المعركة و نقلت جثته إلي مسقط رأسه .بمازونة و إرضاء لشيوخ المدرسة و عرفانا بجميلهم، جدد البايات بناء المدرسة أكثر من مرة [3]

و هناك رأي آخر أن الباي محمد الكبير كانت له حسابات مع رجال الدين و العلم نظرا للانتقادات التي طالما كانوا يوجهونها له فاستغل الفرصة سنة 1205هـ

ليضع العلماء في فوهة المدفع ،حتى يسكتهم إذ جعلهم في طليعة المحاربين ضد الأسبان فإذا تحقق النصر كسب و كسبوا ، أو سكت و سكتوا و إذا كتبت الهزيمة تخلص من نقدهم ،فأمرهم

[1] ـDjilali Sari :les villes précoloniales de l' Algérie occidentale_N'édro a - Mazouna ,Kalla ,S .N.E.D Alger 1978 –p 48.

[2] ـ ميلود ميسوم :مدرسة مازونة دراسة فنية و تاريخية ص66 .

[3] ـ مولاي بلحميسي :دور مدرسة مازونة في الحركة العلمية...ص 8 .

أن يتوقفوا عن التدريس في المدن و أن يدرسوا بدلا من ذلك في الرباطات مثل جبل المائدة المطل علي وهران للتضييق علي العدو[1]

كان الهدف من ذلك فرض الجهاد عليهم لأن عليهم في هذه الحالة أن يدافعوا عن أنفسهم قبل مهاجمة الأسبان ف المدينة وعندما كثر الطلبة ،أمر الشيخ محمد بن الموفق بوجلال ،الطاهر بن حواء قاضي معسكر و الشيخ محمد يبن الشارف المازوني و قد تجاوز عدد الطلبة المائتين و أعطاهم الباي السلاح و العدة بقتال الكفار و المسلمين المنحازين إليهم ،لكن هزيمة الطلبة كانت شبه مؤكدة كونهم غير معتادين عي حمل السلاح و لا يعرفون فن الحرب و كانوا سيقعون في قبضة العدو لولا فرارهم في الوقت المناسب [2]

من هنا يستشف الدور الذي لعبه علماء و شيوخ مازونة في مواجهة العدو الاستعماري و شحن الجماهير للدفاع عن وطنهم ، كما يتضح أن العلماء كانت مكانتهم وهيبتهم عند البايات والحكام ، فنجاح الباي أو فشله مرهون بمجيء خدمته للعلم ومراكزه من مساجد وزوايا ومدارس.

ولعل أهم شخصية ميزت مدرسة مازونة في العهد العثماني هي الشيخ محمد بن علي أبي طالب ، الذي بغض النظر عن مكانته العلمية و الدينية وقيادته لجموع الطلبة في حربهم ضد

[1] ـــ أ بو القاسم سعد الله :تاريخ الجزائر الثقافي مرجع سابق ص207 .

[2] ـــ المرجع السابق ،الصفحة نفسها .

الأسبان بقطعه الطريق من مازونة إلى وهران مشيا على الأقدام وقد جاوز الثمانين من عمره دون كلل أو ملل.

لقد حظي بمكانة في نفوس كل من تتلمذوا على يديه أو من عاشروه، وكان أبرزهم الفقيه عبد القادر بن الخطابي ألمجاهري دفين مصر والمتوفى سنة 1336 هـــ الذي أشاد بعلمه وأخلاقه في تأليف سماه (الكوكب الثاقب في أسانيد الشيخ أبي طالب [1]

وفي القرن السابع عشر اشتهرت عائلة سيدي علي الكتروسي الشريف الحسيني هذا ما جعل الجزائر أحمد أبو العباس يعين الشيخ أحمد الكتروسي مفتيا بمازونة و إماما لجامع سيدي عيسي و عزوز بحي بوماتع مع الأمر للسلطات بحمايته و إعفائه من كل الالتزامات[2]

كان معظم شيوخ و أساتذة المدرسة من أهل البلدة ،الشيء الذي ضمن الاستقرار و المواصلة في التلقين ،و لازم ذلك سعة الحال عند معظمهم و ما يملكونه من بساتين و أراضي فلاحية ...و بما أن الثقافة كانت في كثير من الأحيان تحت مسؤو لية الدولة فإن حراس العقيدة من رجال الشريعة و التوحيد أساتذة و مشايخ يدافعون بأقلامهم و دروسهم عن العقيدة الرسمية في المدارس و في حلقات الدروس العمومية بالجوامع ،و قد حصل كما يري عبد المجيد مزيان في

[1] ـــ ناصر الدين سعيدوني ـــ المهدي البوعبدلي : مرجع سبق ذكره ص 197 .

[2] ـــ مولاي بلحميسي:دور مدرسة مازونة في الحركة العلمية ، ص 9

كثير من الفترات إنسجام بين رجال الدين ، الفكر ورجال السياسة أدي إلي التساند في تثبيت العلم والعقيدة معا[1]

الشكل المعماري للمدرسة:

دراسة وصفية:

مثلت المدرسة الموجودة بمنطقة مازونة صورة المعمار العثماني و انطباع الفنان حيث جسدت تلك التقنيات و الهندسة المعمارية و الفنية لهؤلاء الذين أبدعوا في عصرهم آنذاك ،الدافع الذي جعلنا نقوم بدراسة وصفية لهذه الأخيرة

الوصف الخارجي:

تقع المدرسة علي مرتفع مما أكسبها موقع إستراتيجي هام يحدها من الجهة الغربية مسبح تامدة القديم و كذلك المسجد و يحدها من الجهة الشمالية و الشرقية بيوت بسيطة البناء .

إن التصميم المعماري للمدرسة يبين لنا ذلك الفن المعماري الإسلامي من الناحية الزخرفية و من العناصر المعمارية التي ترتكز عليها العمارة الإسلامية و كما ذكرنا أن المدرسة تتصل من جهتيها الجنوبية و الغربية بالمسجد ،يفصلها عنه رواق غير مسقف مبلط بالزليج الحديث بمدخله باب يفصل بين الداخـــل

[1] ـــ عبد المجيد مزيان : المؤسسات الثقافية في الجزائر قبل الاستعمار ،مجلة التاريخ الجزائر 1986، ص11.

و الخارج فالواقف باتجاه القبلة من خارج المدرسة يلمح ست نوافذ متباينة المقاييس أما الأولي فهي نافذة ضريح سيدي أبي راس المازوني ،مستطيلة الشكل محاذية لباب مدخل المدرسة في حين تليها أربع نوافذ متساوية المقاييس أيضا و هي خاصة بغرف الطلبة ثم تأتي النافذة الأخيرة في آخر الزاوية من الجهة الشمالية الشرقية للمسجد و هي تخص قاعة التدريس [1]

كما نجد الجدار الخارجي يعلوه شرافات ذات أسنان رأسية متباينة تتخذ شكل الزخارف الهندسية .

الوصف الداخلي للمدرسة:

أثناء الدخول إلي المدرسة تمر عبر سلم يقودك إلي باب المدخل و من هناك يقابلك مباشرة فناء مستطيل الشكل يتوسطه حوض من الرخام المنحوت موصول بحنفية ماء، كانت تستعمل للوضوء أما اليوم فهي تابعة للكتاب يستغلها التلاميذ في محو ألواحهم

كما تتوفر المدرسة علي قاعتين و أربع غرف للطلبة ،فقاعتا التدريس تقعا في الجهة المقابلة للمسجد من لشمال الشرقي و هما متساويتان في الطول ، العرض و الارتفاع ففي مدخل كليهما باب و عند لهذه القاعات تلمح تلك البساطة إلا أن المدرسة تنعدم من الثقافة الصحية .

[1] ـ فتيحة غرتيل ـ حيرة فراجي:جرد المعالم الأثرية لولاية غليزان ،مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس قسم الأثار ـ جامعة تلمسان 2008 ص 48 .

القاعتان متساويتان في المقاييس و هناك فرق واحد بينهما يكمن في وجود نافذة بواحدة بينما تنعدم بأخرى و تقع هاتين الغرفتين موازيتين لحوض الفناء

و المدخل الرئيسي ،فالغرفة الموجودة في الجهة الجنوبية الغربية للمسجد بها ضريح سيدي محمد بن الشارف و معه بعض الأضرحة الآخري يقال أنها أضرحة عائلة سيدي محمد بن الشارف ،لا يحتـــوي الضريـــــح علي نافذة تعلوه قبة [1]

إذا قارنا غرفة الضريح بمكان الطلبة نجد الغرفة المستوحاة علي الضريح أكبر من غرف الطلبة

بجانب ضريح مؤسس المدرسة بالجهة الشرقية ضريح لشيخ محمد أبي طالب ، بحيث نجد تصميم بناء هذه الغرفة يختلف عن تصميم غرفة الشيخ بن الشارف ،إذ يميزها بيت علي شكل قبة و الغرفة بأكملها مبلطة بالزليج الحديث و هناك غرفة تقع علي يسار الباب الرئيسي للمدرسة و بها ضريح الشيخ أبي راس المازوني و تتميز هذه الغرفة بصغر حجمها عن الغرفتين السابقتين و أول ما يجلب نظرك إليها هو بابها الطي صمم علي عقد دائري و اشتمل علي زخارف هندسية متنوعة تمثلت في عقد حذوي مدبب من النحاس ، وعلي جانبي العقد نري شكلين هندسيين علي هيئة مثلث، نجمة و هلال موجـــه إلـــي الأعلى برأسيه وكذلك نجد أسفل العقد شكل معين في الجزء الأول من الباب يقابـــله معيـــن آخـــــر و كل الأشكال الهندسية الموجودة علي باب ضريح

[1] ـــمليكة بن زهرة :عضو مكلف بالتراث ،مكتب التوجيه و الإرشاد بدائرة مازونة {مقابلة شخصية يوم :15، 16ـــ5ـــ2012}

الشيخ أبي راس هي من النحاس و تشتمل الغر فة علي نافذة مطلة علي الشارع كما تعلوه قبة مثمنة الشكل وهي أصغر القباب المتواجدة بالمدرسة .

أما غرف الطلبة فهي علي خط واحد و بمقاييس متساوية كما لاحظنا أن أبواب الغرف من الخشب فبمجرد الدخول إليها تكشف بساطتها في البناء و التصميم و هشاشة السقف كما تنقصها التهوية بسبب صغر نوافذها[1]

و هذه الأبواب الخشبية تحتوي علي أشكال هندسية و نباتية رائعة من نجمة خماسية الرؤوس و هلال قد وجه برأسيه إلي الأعلى و عند فتح هذه الأبواب يظهر الفناء مباشرة

الفنـــــــاء:

يطل المدخل علي فناء مستطيل الشكل ،يتوسطه حوض مائي مزود بحنفية مخصصة للوضوء ،الواقف في الفناء تقع عيناه علي كل مراكز المدرسة حيث المتجه نحو القبلة علي ضريحي الشيخين :ابن الشارف و محمد أبي طالب و إذا أدار عيناه قليلا نحو الجنوب يري السلم المؤدي للقاعة المخصصة للمخطوطات و الكتب ، ثم يري جدار المسجد في الجهة الجنوبية الغربية ،لتقع عيناه غربا علي الصومعة و إذا توجه نحو الشمال الغربي فإنه يبصر المدخل ثم ضريح الشيخ أبي راس المازوني فالغرف الأربعة للطلبة .

[1] ـــ مليكة بن زهرة :مقابلة شخصية.

وفي الأخير قاعة التدريس الثانية، وتبقى القاعة الأولى للدرس في الجهة الشمالية الشرقية للواقف في وسط الفناء كما تحتوي المدرسة على فناء جانبي هو في الأصل سطح المكتبة أو قاعة المخطوطات والكتب ويصل إليه الصاعد عبر سلم بطابقين من الحجر المنحوت.

ـــ شكل الأضرحة و تصميمها:

ـــ ضريح سيدي أحمد بن الشارف:

ينسب لصاحبه مؤسس المدرسة حيث يقع شرق المسجد و غرب ضريح سيدي أبي طالب و قاعتي التدريس و يقابلها الفناء و ضريح سيدي أبي راس المازوني ، فعندما تدخل غرفة الضريح تمر عبر الباب الرئيسي الخلفي الخشبي الذي تعلوه نصف دائرة ثابتة مصنوعة هي الأخرى من الخشب مزينة بشكلين هندسيين نجمة خماسية الرؤوس و أسفلها هلال و قد وجه رأسه إلي الأعلى .

أما عن جوف غرفة الضريح فواسع بعض الشيء ، ولا تتوفر على أي نافذة للإضاءة باستثناء المدخل ما جعل منها قاعة مظلمة مما أدى إلى استحداث المكان وإيصاله بالضوء الاصطناعي حتى يتسنى للزوار اكتشاف الموقع ، إذ نجد هذا المكان المخصص للصريح أوسع وأرحب من مكان نوم الطلبة ويرجع هذا إلى كثرة المتبركين الوافدين إلى المكان [1].

[1] ـــ فتيحة غرتيل : جرد معالم غليزان ، ص 49 .

ـــ ضريح سيدي محمد أبي طالب :

يقع بالجانب الشرقي لضريح سيدي محمد بن الشارف وغرب قاعة التدريس الأولى وعلى شماله نجد الفناء ،غرف الطلبة وضريح سيدي أبي راس المازوني ، تختلف هذه الغرفة عن باقي الغرف من حيث التصميم إذ بنيت على شكل قبة وهو ما أكسبه نموذجا معماريا منفردا عن باقي الهياكل الأخرى في المدرسة .

غرفة الضريح كبيرة الحجم لها باب واحد اتجاه القبلة تعلوه نصف دائرة ثابتة هو الآخر من الخشب الخشن إلا أنها دائرية الشكل يوجد بوسطها الضريح اشتملت على عدة نتوءات في الإتجاهات الأربعة وهبدي عبارة عن تجويفات على شكل منبر .

ـــ ضريح أبي راس المازوني :

يقع على يسار الداخل من الباب الرئيسي للمدرسة ثم تليه من الجهة الشمالية الشرقية الغرفة الأولى المخصصة لنوم الطلبة يقابله الفناء الرئيسي من جهة القبلة وكذا ضريحي الشيخين اللذان ذكرناهما سابقا[1].

تتميز هذه الغرفة بصغرها من حيث الحجم وبزخارفها الفنية الرائعة سواء من الداخل أو الخارج ، فأول ما يشد نظر الزائر باب الضريح الذي هو عبارة عن تحفة فنية غاية في الرونقة والجمال وقد صمم على شكل عقد دائري ، وكما ذكرنا سابقا أن الباب أيضا أشتمل على

[1] ـــ ميلود ميسوم : مدرسة مازونة دراسة فنية وتاريخية ، ص 110ـــ 111 .

زخارف هندسية تمثلت في عقد حذوي مدبب من النحاس وعلى جانبي العقد نرى شكلين هندسيين على هيئة مثلث محور من قاعدته وهما متناظران بالنسبة لمنتصف الباب أما داخل العقد فوضعت نجمة ستة رؤوس وهلال موجه إلى الأعلى برأسيه ، كما يوجد أسفل العقد لوحة خشبية تجزء الباب طولا ليظهر على شكل معين يقابله في الجزء الثاني معين آخر له نفس المقاييس لنجد أسفل الشكلين أشكال فنية أخرى تمثلت في شكل زهرتين بثلاثة رؤوس ومعين معاكس في اتجاه المعينين السابقين وهذه الأشكال الفنية كانت كلها من النحاس .

أما جانبا المدخل فزينا بلوحات من الزليج ذات أشكال هندسية ونباتية حيث استحدثت نافذة في الجهة المقابلة للمدخل المطلة على الشارع مما جعل الغرفة مضيئة .

تعلو هذا الضريح قبة مثمنة الشكل وهي أصغر القباب المتواجدة في المدرسة.

الميضأة:

تقع في أقصى الجنوب للمدرسة ، لها مدخلان أحدهما خارج المدرسة وهو باب صغير و معقود بواسطة عقد حذوي يفتح نحو الشرق علي رواق مسقوف و إلي الجدار المقابل نجد المدخل الثاني بباب هو الآخر ضيق و المؤدي عبر ممر ضيق إلي الباب الخلفي للمسجد ومن خلاله إلي الفناء عبر السلم .

و في أعلي السقف يبرز حوض كبير لحفظ الماء [1]،حيث كانت الطريقة التقليدية في جلب الماء عن طريق الدلو المربوط بالحبل و بواسطة البكرة المثبة بلوحتين قفي ركني السقف سهل عملية صب الماء .

ينبغي أن نشير إلي أن ميضأة المدرسة قد طالتها يد الإهمال مما أدي إلي فسادها و أستحداثها حيث وضعت أنابيب و أوصلت بالصهريج و منه الي المراحيض الخمسة بحنفيات فأصبحت معظم حديثة البناء مما أدي إلي صرف النظر عنها كمعلم تاريخي.

مسجد المدرسة :

دراسة وصفية :

يعود تاريخ بناءه إلى تاريخ تأسيس المدرسة لذا يسمى مسجد المدرسة اسس على يد الشيخ محمد ابن الشارف سنة 1029هـ [2] .

الوصف الخارجي :

يقع المسجد في الجنوب الغربي للمدرسة يتوسط المدخل الرئيسي الموازي لجدار القبلة تزينه زخارف هندسية بأشكال متنوعة وتعلوه زخرفة كتابية في آية قرآنية ، حيث المدخل المكون من عنصرين هامين الإطار المستطيل البارز الذي كتب عليه الآية القرآنية ، أما العنصر الثاني فهو ما

[1] ـ ميلود ميسوم:مدرسة مازونة.....، ص 112ـ113 .

[2] ـ فتيحة غرتيل: جرد معالم غليزان ،ص 51 .

بداخل هذا الإطار والمتمثل في العقد ذو شكل حذوي مدبب ذو ثلاث فصوص والباب من الحديد ، يلاحظ من شكله أنه جديد ويعلو إطار الباب نافذة بها قوسين حذو تين متناظرين.

يحتوي المسجد على صحن خارجي مكون من مدخل رئيسي لدخول المسجد آخر يؤدي إلى سلم أو أدراج لدخول المدرسة، ويحتوي المسجد على عدة نوافذ للإضاءة والتهوية منها :نافذتين في الجدار الخلفي موازي لجدار القبلة،وهما متناظرتان بالنسبة للمدخل ،أما الجداران المعاكسان لجدار القبلة والذي بدوره اشتمل كلا منهما على نافذة مستطيلة الشكل ،أما جدار القبلة فيحتوي على نافذتين مربعتين في أعلى الجدار[1] .

وإذا نظرتا إلى الأعلى تظهر تلك القباب وعددها خمسة ، قبة مركزية وأربع محاطة بها ، ويشتمل المسجد على مأذنة موجودة في الركن الخلفي الشمالي لبيت الصلاة مربعة الشكل وحديثة البناء ،بها أشكال هندسية متنوعة من مستطيلات أو خطوط ودوائر مربوطة بهذه المستطيلات عن طريق عقود مدببة وهذه الزخارف كلها من الجص والجبس[2] .

الوصف الداخلي:

إذا دخلت من الباب فأول ما يقع عليه نظرك في الجهة اليمنى حجر تأسيس المسجد مكتوب عليه سنة التأسيس ومؤسس المسجد ، أما الذي يبهرك داخل المسجد الأقواس المتقاطعة

[1] ـــ ميلود ميسوم : مدرسة مازونة..... ، ص 108 .

[2] ـــ ميلود ميسوم :مدرسة مازونة..... ، ص 108

والأعمدة المربعة الشكل ،بالرغم من أن المسجد يعود للفترة العثمانية إلا أن الجدة موجودة في عناصره ويغلب على المسجد اللون البني خاصة الأعمدة وهي أعمدة عادية يفوق عددها العشرة ،فيبلغ ارتفاعها أكثر من 2متر،و أقواس المسجد هي أقواس نصف دائرية ونصف الجدار مبلط للزليج الحديث .

يتكون المسجد من عدة ثريات ونوافذ صغيرة جدا ، فإذا نظرتا إلى السقف تجده على شكل نجمة ثمانية الأضلاع يتوسط كل رواق ثرية تزيد في بهاء المسجد وكذلك ما يزيد روعة هذه العمارة الدينية هي القبة المركزية التي تقوم على أربعة أعمدة وهي مثمنة الشكل ، كذلك أربع قباب أخرى[1] .

وكل هذه القباب مزودة بفتوحات صغيرة وذلك لتهوية المسجد ودخول الضوء .

في الجهة الأمامية الموازية لمدخل الباب نجد المحراب الذي يتوسط الجدار الجنوبي لقاعة الصلاة ، وفي مستوى واحد مع أرضية المسجد وله تجويف في الجدار يبلغ طول المحراب 2,50 م وعرضه 1,60 م ، يتشكل من عدة أجزاء مصنوعة من مادة الرخام حيث تعلوه قطعة رخامية ، وقد جوفت في وسطها فزادها جمالا ورونقا، وتليها طبقة رخامية ثانية بعد ما فصل بينهما

[1] ــ مليكة بن زهرة :.مقابلة شخصية يوم 15ــ16 /2012/05.

بتجويف دقيق وقد كتب عليها الأية الكريمة:" **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** "[1] بالخط المغربي الأندلسي .

أما الجزء الثالث فيتمثل في الإطار الخارجي الذي يمتد من آخر لوحة الآية إلى

قاعدة أرضية المسجد والذي ينقسم بدوره إلى قسمين متناظرين عند أعلى الشكل الهندسي ذو الثلاثة رؤوس المجوفة من بطونها والمرتبة من الأعلى إلى الأسفل حسب درجة البروز ويبقى الجزء الأخير في المحراب والذي يمثل ما داخل الإطار بعدما نحث على شكل عقد حذوي مدبب ينتهي ببروز ثم تجويف ثم بروز أقل من الأول فتجويف فبروز أخير يكاد لا يرى ، ثم يلتقي بالعمود المكون للإطار في النقطة المركزية لهذا الأخير مشكلا عمودا صلبا بارتفاع 1 م ينتهي في القاعدة الرئيسية .

إن المادة الرخامية البنية اللون التي صمم بها المحراب والأشكال الهندسية المتناظرة التي طبعته وزينته والزخرفة الكتابية بالخط المغربي الأندلسي الذي زاده حلة فنية رائعة تعكس مدى جمالية الهندسة الإسلامية وعبقريتها .

بجانب الحراب نجد المنبر في الجهة اليمنى منه وهو سبع درجات تعلو هذه الأخيرة أقواس وأعمدة صغيرة حذوية الشكل وفي الجهة الشمالية من المحراب يوجد :

[1] ـــ سورة الجن:الآية18.

ـــ كرسي من الخشب :

يحتوي المسجد على كرسي خشبي له من المميزات الفنية ما يعكس عراقته وقدمه ، ذو روعة في الزخرفة النباتية والهندسية والكتابية ، مربع الشكل يتميز بعدة أشكال هندسية تتمثل في مستطيلات صغيرة بداخلها معينات ، اشتما إطاره على عناصر زخرفيةعلى هيئة أوراق نباتية محورة ، وقد أحدث ثقب صغيربالإطارعلى شكل مربع وهو من أروع التحف الأثرية التي تعود لقرون من الزمن والمحفوظ بالمسجد .

بجانب هذا الكرسي باب أخر يؤدي إلى غرفة وهي عبارة عن مكتبة وتسمى قاعة الكتب والمخطوطات ، تمتد جنوب شرق المسجد ولا يفصل بينهما سوى ممر ضيق والواصل إليها من الباب الرئيسي للمدرسة يقطع الفناء ويترل عبر سلم بطابقين ليجد مدخلين أحدهما على يمينه وهو الباب الخلفي للمسجد والآخر على شماله وهو باب المكتبة وهي واسعة من الداخل ، تحتوي على مصادر التهوية والإضاءة وهي عبارة عن نوافذ صغيرة في أعلى الجدار من الجهة الشمالية الغربية.

احتفظت المدرسة بخزانة واحدة فقط للمخطوطات أما باقي الخزائن والتي قيل أنه قبل خروج الاستعمار كان فيها أزيد من أربعة، فلم يعد الآن لهم أثر.

أما الخزانة الباقية في المكتبة فإنها تحتوي على عدة مخطوطات ثمينة وفي مختلف التخصصات كالفقه والسيرة والتشريع والحديث..... الخ.

المئذنة:

تحتل مئذنة جامع المدرسة الزاوية الخلفية الشمالية لبيت الصلاة ، فهي بارزة عنه ، ذات جزء سفلي تبدو من خلال شكلها الخارجي صفة الحداثة ، مما يتوضح لنا بأنها خضعت هي الأخرى للترميم الذي مس بعض مرافق المدرسة في عهد نابليون وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

ـــ القسم الأول:

يتمثل في الجزء السفلي المربع لقاعدة المئذنة التي فتحت في ضلعها الجنوبي فتحة على شكل باب مقوس ، يوصل إلى قمة المئذنة بواسطة سلم خشبي دائري ، نواة مركزية مجوفة .

ـــ القسم الثاني:

يتمثل في البدن المربع للمئذنة الذي يحتل أكبر جزء فيها وهو يخلو من الزخرفة باستثناء الجهة الخلفية المطلة على الشارع التي زينت بأشكال هندسية وتمثلت في ثلاثة أجزاء: الجزء الثالث يتمثل في الجو سق والشرفة.

الشرفة: مثمنة الشكل يعلوها في كل ضلع شكلين هندسيين مربعين بداخلهما علامة (×) تدل على الاستحداث الذي وقع بالمدرسة .

الجو سق : بني على شكل دائري في وسط الشرفة مسقفة على شكل مخروطي ، تعلوه قبة صغيرة دائرية ومنه تخرج إلى الشرفة، فعند دخول المئذنة نجد بسطة تؤدي إلى سلم صاعد يتكون من 50 درجة ، يدور هذا السلم حول نواة مركزية أسطوانية [1].

[1] ــ ميلود ميسوم : مدرسة مازونة دراسة فنية وتاريخية ، ص 119 ــ120 .

خاتمة

من خلال دراستنا لهذا الموضوع المتمثل في مظاهر الحضارة العثمانية في البناء المعماري بمنطقة مازونة توصلنا إلي النتائج التالية:

1ـــ تميز المنطقة بتاريخ عريق و شاسع حيث كانت مهدا لعدة حضارات و من أهمها الحضارة العثمانية و ذلك نظرا للمدة التي استغرقتها بالجزائر.

2ـــ تلألأ منطقة مازونة و ازدهار الحياة العلمية و الثقافية خلال التواجد العثماني.

3ـــ الدور الهام الذي لعبته المنطقة خاصة في القرن 12 و يرجع هذا إلي موقعها الجغرافي، فكانت مركزا اقتصاديا تمهن أهاليها التجارة و الصناعات التقليدية كما يعود هذا إلي إشعاعها الحضاري.

4ـــ المكانة العلمية التي احتلتها مدينة مازونة في الجزائر علي وجه الخصوص و في المغرب العربي بصفة عامة .

5ـــ اعتبار منطقة مازونة من المناطق التي لاقت اهتماما كبيرا من قبل العثمانيين و يظهر هذا في اتخاذهم لهم بايلكا غربيا ،كما أن المنطقة عرفت استقرارا في هذا العهد لم تشهده في العصور الأخرى .

6ـــ التطور الذي شهدته المنطقة في ظل الدولة العثمانية و هذا ما يدل علي الاهتمام البالغ ، حيث شمل مختلف المجالات ويتجلي هذا في الجانب المعماري الذي يكمن في تلك البيوت و الأحياء البسيطة و الجميلة في الوقت نفسه،و خاصة المساجد لأن هذا ما ميز الفترة العثمانية بالإضافة إلي المدرسة التي كانت غنية عن التعريف مما جعلها قبلة العلم و العلماء.

7ـــ المساهمة الفعالة التي أبدتها المدينة في دفع حركة التقدم الحضاري عن طريق معالمها إلي سخرت للعلم و العلماء.

8ـــ دور مدرسة مازونة الفقهية في إثراء الجانب العلمي و يتجلي هذا في إقبال العلماء عليها من كل حدب وصوب و الدليل علي ذلك العلماء الذين أ نجبتهم .

9ـــ بالإضافة إلي هذا تعد المنطقة من ضمن المناطق الأثرية الهامة بالجزائر و ذلك لامتلاكها عدة معالم لحضارات مختلفة.

تعد منطقة مازونة محطة تاريخية هامة من تاريخ الجزائر ،فبغض النظر عن موقعها المتميز الذي مكنها من أن تكون بايلك الغرب في العهد العثماني مساهمتها الفعالة في تنشيط حركة علمية واسعة داخل الجزائر و خارجها.

الملاحق

كرسي المسجد الأثري

محراب المسجد

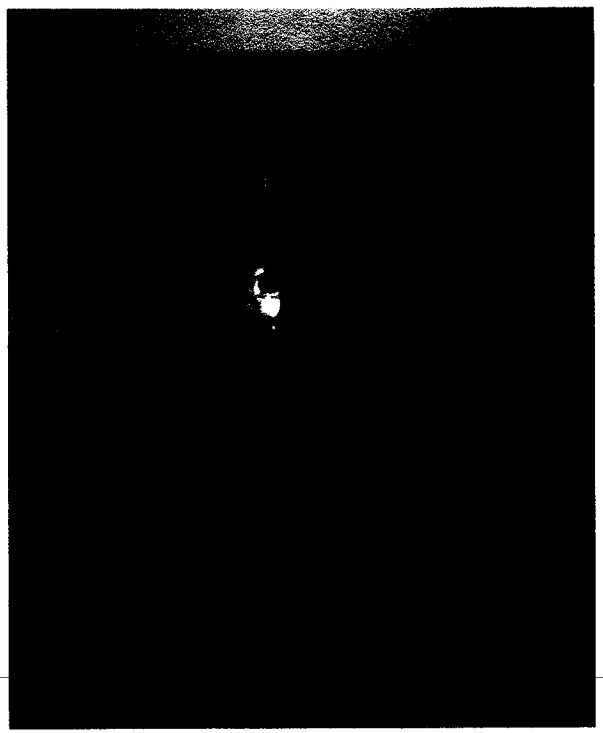

صورة المخطوطات

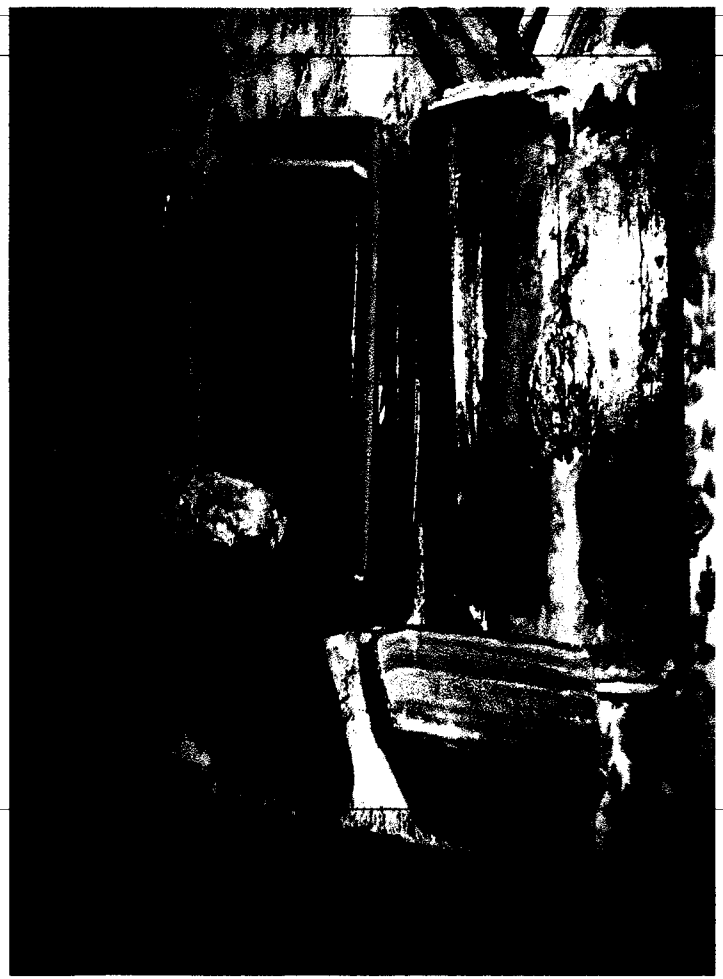

منظر خارجي للمسجد والمدرسة

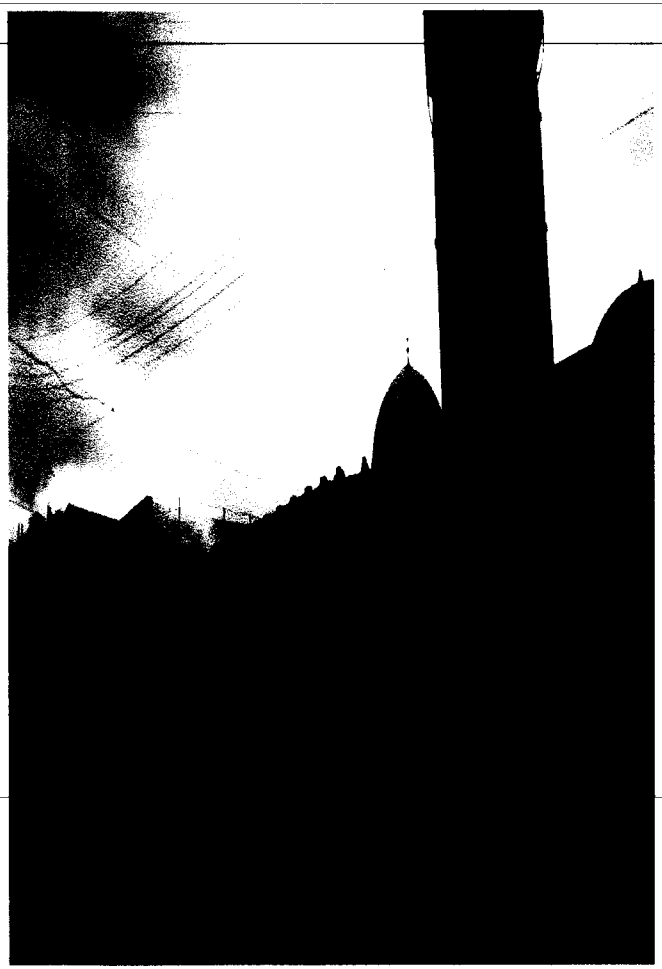

منظر عام لمنطقة مازونة

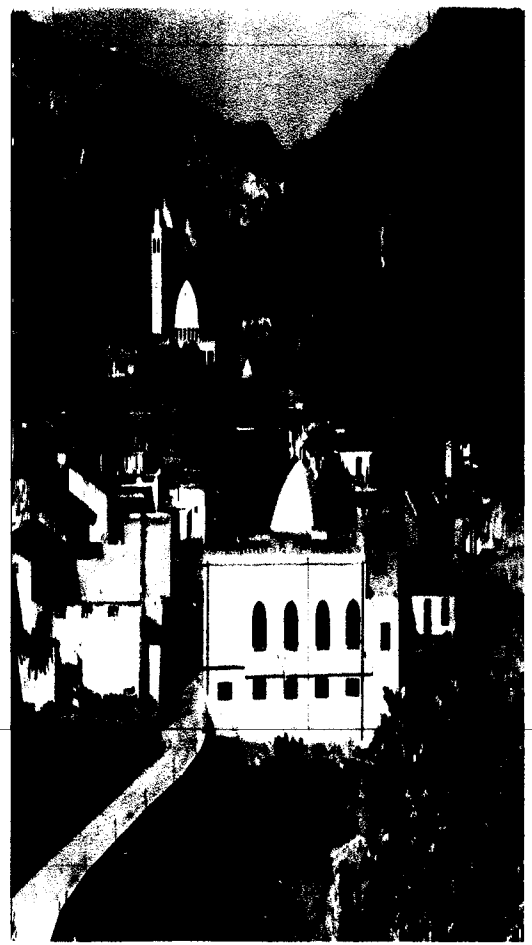

منظرداخلي للمسجد

صورة للفناء

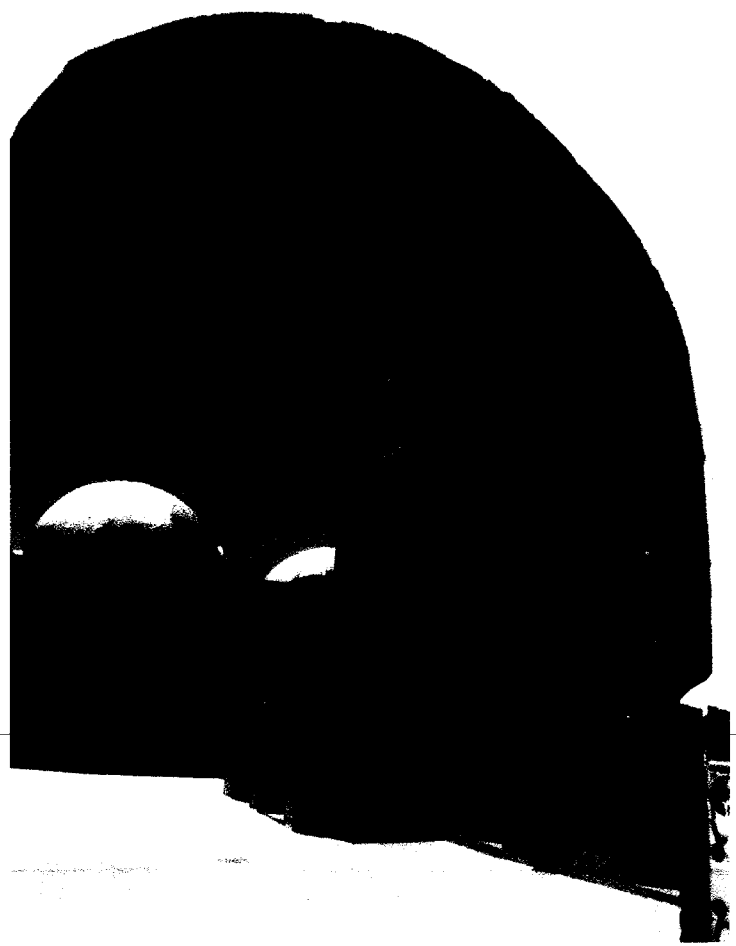

باب المدرسة العتيق

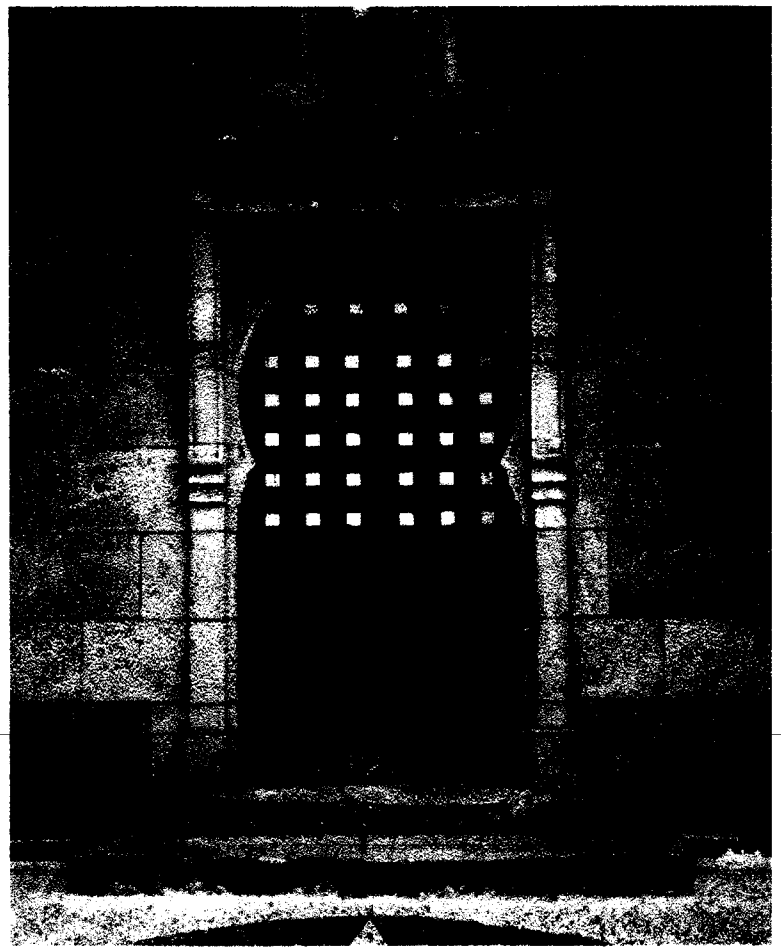

جامع المدرسة العثماني . مازونة .

البيبليوغرافيا

ـــ القرآن الكريم: برواية حفص .

أ ـــ قائمة المصادر والمراجع

1ـــ ابن الزيات التادلي : التشوف في معرفة رجال التصوف،احمد المدني مطبعة النجاح الجديدة،المغرب 1984 .

2ـــ ابن سحنون الراشيدي : الثغرالجماني في ابتسام الثغرالوهراني،تحقيق المهدي البوعبدلي،مطبعة البعث الجزائر1973 .

3ـــ ابوالقاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي(1500ـــ1830) ج1 ،دار الغرب الإسلامي لبنان ،ط1 1998 .

4ـــ ابوالقاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف ، مؤسسة الرسالة المكتبة العتيقة، تونس 1985 .

5ـــ الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ،مكتبة الثقافة الدينية مج1،مصر.(د.ت) .

6ـــ الإدريسي :وصف إفريقيا الشمالية من كتاب نزهة المشتاق في إختراق الأفاق،تصحيح ونشر هنري بيرس الجزائر،ط1 1957 .

7ـــ الأغا بن عودة ألمزاري : طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا إلى أواخرق19م ،ج1 تحقيق ودراسة يحي بوعزيز،دار الغرب الإسلامي ط1 لبنان 1990 .

8ـــ الجيلالي بالخير : الوالي الصالح سيدي الناصر عالما ومتصوفا،ديوان المطبوعات الجامعية وهران (د.ت) .

9ـــ جمال قنان : نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500ـــ1830) المنشورات الوطنية للطباعة الجزائر1987 .

10ـــ جنان الطاهر :مازونة عاصمة الظهرة ثغر حربي ومركز إشعاع حضاري ،مكتبة الإرشاد ط1 الجزائر2005 .

11ـــ حسن محمد الوزان : وصف إفريقيا ،ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر ج2،دار الغرب الإسلامي ط2 1988ـــ1989 .

12ـــ سيارالجميل :تكوين العرب الحديث ،دار الشروق للنشر والتوزيع الأردن،ط1 1997 .

13ـــ عبد الرحمان الجيلالي : تاريخ الجزائر العام،ج3 ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر1892 .

14ـــ عبد الهادي التازي : جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس مج2 دارالكتاب اللبناني ط1 1973 .

15ـــ عبدالرحمان إبن خلدون :كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبرفي أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات الجامعية ج7،بيروت ـــ لبنان 1971

16ـــ عثمان الكعاك : موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي،تقديم ومراجعة أ.د ناصر الدين سعيد وني،دار الغرب الإسلامي ط1 2003.

17ـــ مار مول كربخال : إفريقيا،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ج1،الإسكندرية 1984.

18ـــ محمد ابوراس الناصري : فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته،حققه وضبطه وعلق عليه محمد بن عبد الكريم الجزائري،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر1990 .

19ـــ محمد سحنوني : ما قبل التاريخ،ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون ـــ الجزائر(د.ت) .

20ـــ محمد عابد الجابري : الثرات والحداثة،دراسات ومناقشات المركز الثقافي العربي بيروث ط1991،1

21ـــ محمد بن ميمون الجزائري : المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ،تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائر1981 .

22ـــ محمد يوسف الزياني: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتحقيق المهدي البوعبدلي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،1978 .

23ـــ مسلم بن عبد القادرالوهراني : أنيس الغريب والمسافر تاريخ بايات وهران المتأخر،تقديم رابح بونار،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1974 .

24ـــ مفيد الزيدي : موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العثماني ج1،دارالنشرالأردن ط2 (د.ت).

25ـــ مولاي بلحميسي : مازونة مقصد الدارسين وقلعة الخليليين،منشورات الإتحادالوطني للزوايا الجزائرية ،الجزائر2005 .

26ـــ ناصرالدين سعيدوني : دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة ج1 المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر1984 .

27ـــ يحي بوعزيز :

- الموجز في تاريخ الجزائر، ج1 ديوان المطبوعات الجامعية 1999 .

ـــ علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك أوروبا (1500ـــ 1830) ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر1980.

ب ـــ الرسائل الجامعية والمذكرات.

1ـــ العفاني فتيحة ـــ يمينة حمودي :الحياة الفكرية لمدينة مازونة خلال القرنين 19م و20م ، مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس، معهد التاريخ ، قسم التاريخ معسكر .

2ـــ المختار بونقاب : تاريخ الطريقة الرقاوية، رسالة ماجستير قسم التاريخ جامعة وهران 2002-2003.

3ـــ عباس محمد : الدور العلمي والاجتماعي السياسي لمدرسة مازونة الفقهية دراسة مونغرافية ما بين ق15وق19 ، مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس معهد علم الاجتماع السينيا وهران 1997م .

4ـــ فتيحة الواليش : الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال ق 18 م رسالة ماجستير جامعة الجزائر 1994.

5ـــ فتيحة غرتيل ـــ خيرة فراجي: جرد المعالم الأثرية لولاية غليزان ، مذكرة لنيل شهادة الليسانس، قسم الأثار، جامعة تلمسان 2008 .

6ـــ محمد بن يلول ـــ فتيحة الجيلالي : دراسة عمرانية لمدينة عتيقة ، حالة مازونة من التكامل و الاندماج إلى الفوضى العمرانية . مذكرة تخرج لنيل شهادة مهندس دولة في التهيئة العمرانية قسم الجغرافيا و التهيئة العمرانية جامعة وهران1998.

7ـــ مصطفى الظريف ـــ خالد كرارمة : دراسة التوسطات العمرانية الحديثة لمدينة مازونة،مذكرة تخرج لنيل شهادة مهندس دولة في التهيئة العمرانية قسم الجغرافيا والتهيئة العمرانية ،جامعة وهران 2001 .

8ـــ ميلود ميسوم : مدرسة مازونة دراسة تاريخية فنية،رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستيرفي الفنون الشعبية قسم الثقافة الشعبية تلمسان 2002 .

9ـــ هاجر مزوان : المؤسسة الدينية و الثقافية لبايلك الغرب 1871_1830 ، مذكرة تخرج لنيل شهادة لسانس في التاريخ قسم التاريخ معسكر 2007م .

10ـــ يوسف بوكفة : مدرسة مازونة الفقهية الوجود و الاستمرار ، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في علم الاجتماع قسم التاريخ المركز الجامعي بمعسكر 2004.

ج ـــ الدوريات .

1ـــ أبو القاسم سعد الله: بعض التحولات في مسيرة التعليم بالجزائر خلال العهد العثماني ، جريدة البصائر العدد1 28 جانفي 2002 ، الجزائر.

2ـــ بوكبشة محمد من مجلة الجندي العدد413 ،2009/10/1م .

3ـــ جمعية الظهرة : مازونة 2200 سنة من التاريخ ، العدد7 .

4ـــ حميد عمراوي : حمدان خوجة حياته و أثاره ، مجلة الثقافة ع 90 الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1985 .

5ـــ عبد المجيد مزيان : الأنظمة الثقافية في الجزائر قبل الاستعمار ، مجلة الثقافة العدد9 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع 1983 .

6ـــ محمد الطاهر : مازونة عهد العلم و الحضارة، مجلة غليزان أحداث العدد 7، 7 ماي 1995.

7ـــ مولاي بلحميسي : دور مدرسة مازونة في الحركة العلمية والثقافية من ق1 إلى منتصف ق20 ، مجلة العصر الجزائر ع 11 ، 1997/10/1 .

د ـــ المصادر والمراجع بالأجنبية :

1_Djilali sari : les villes prècoloniales de l'Algerie aux dentale : nadroma , mazouna , kalàa alger 1978 p 18- 22

2 _Marmol Caryal : description générale de Africa 1753 ,tard Franc. Perot d'ablencour pari 1867, 3 Vol p 254

3 _Moulay Belhamissi : mazouna une petit ville longue histoire société nationale d'edition et diffusion, Alger 1982

4 _SHOU THOMAS : Voyage dan la régence d'Alger ,trad. maccarthy 1830 p252

هـــ ـــ الموقع الإلكتروني:

www.googel.com/www.djlefa/vb/shouth read.mazounaphp.

الفهرس

الفهرس

شكروعرفان

إهداء

مقدمة ..... أ

مدخل 1

الفصل الأول :دراسة عامة لمدينة مازونة 12

المبحث الأول:الإطار الطبيعي والتاريخي 12

المبحث الثاني:المراحل التاريخية التي مرت بها المنطقة 17

الفصل الثاني:أهم جوانب الحياة لمدينة مازونة..... 28

المبحث الأول:الجانب السياسي والاجتماعي والاقتصادي 28

المبحث الثاني:الجانب الثقافي الفكري..... 37

الفصل الثالث:مظاهر الحضارة العثمانية في البناء المعماري بمازونة 47

المبحث الأول:نشأة المدرسة وتطورها 50

المبحث الثاني:دراسة وصفية تحليلية لكل من المدرسة ومسجدها 60

خاتمة..... 74

ملحق الصور الخاص بالمدرسة والمسجد 76

قائمة المصادر والمراجع..... 81

الفهرس